

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعَةِ زَهْرَائِيَّةِ أَصِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ نَهْضَةِ ثَقَافَةِ حُسَيْنِيَّةِ زَهْرَائِيَّةِ مُتَحَضِّرَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْهِ مَهْدَوِيِّ زَهْرَائِيٍّ رَاقٍ

بِرَنَامَج

قُرْآنِهِم

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

بَرَنَامَجُ قُرْآنُهُم

بَرَنَامَجُ تَلْفِزِيُونِي عَرَضَتُهُ قَنَاةُ الْقَمَرِ الْفَضَائِيَّةِ

وَبطَرِيقَةِ الْبَثِّ الْمُبَاشَرِ

الْحَلَقَةُ (22)

يَوْمَ الْجُمُعَةِ

بِتَارِيخٍ: 5 شَوَّالٍ 1438 هـ

الْمَوَافِقُ: 2017/6/30 م

يا زفراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بَرْنَامَجْ قُرْآنُهُمْ

(سُورَةُ الْأَعْرَافِ - الجزء التاسع عشر)

قُرْآنَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ "صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ"

سَيِّدِي يَا صَاحِبَ الْأَمْرِ قُرْآنُكُمْ نُورٌ

كَلَامُكُمْ نُورٌ... يَا نُورًا عَلَى نُورٍ...

يا زهراء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُرْآنَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ فَقَطْ وَفَقَطْ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ..

وصلنا إلى الآية الستين بعد المئة من سورة الأعراف، ولا زالت الآيات في هذه السورة تترى في أحوال بني إسرائيل وقصصهم، فماذا تقول هذه الآية؟ ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرِبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

بنو إسرائيل؛ وإسرائيل هو يعقوب، ويعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، (إسرائيل) كلمة عبرية تعني صفي الله، ولي الله، هي في هذه المضامين، فإسرائيل هو يعقوب، ويعقوب كان له من الأولاد اثنا عشر، أنسالهم وأحفادهم هم الذين قيل لهم أسباط بني إسرائيل، ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ فأولاد إسرائيل تناسلوا وصارت كل مجموعة تنتسب إلى أحد أبناء إسرائيل، وعلى هذا الأساس قُسمت قبائل الإسرائيليين.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ الأسباط هم أحفاد يعقوب، الأسباط قد تُطلق على الأحفاد مطلقاً، يعني على أولاد الأولاد الذكور وأولاد البنات، فإن كلمة الولد قد تُطلق على الذكور وعلى البنات أو عليهما معاً، حينما يقول الحديث: (يَحْفَظُ المرءُ في ولده) "في ولده" هنا ليس المقصود الذكور في ولده المراد من الذكور والإناث على حد سواء، وحين تأتي الأدعية: (اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَوْلَدِي أَوْ لَوَلَدِي) وكلمة (الولد) قد تُطلق على المفرد وقد تُطلق على الجمع، على ما هو أكثر من الواحد، على الاثنين فما فوق، فالأسباط قد تُطلق على الأحفاد مطلقاً، أولاد الذكور وأولاد الإناث، يعني أولاد الأولاد الذكور وأولاد البنات، وقد تُطلق فقط على الأحفاد من البنات.

فإمّا أن تُستعمل بهذه الصيغة فإن الأسباط هم أولاد البنات، الأحفاد من جهة البنات.

وإمّا أن تُطلق على الطرفين، على أولاد الأبناء وعلى أولاد البنات.

وهنا الأسباط تطلق على الطرفين، على أولاد الأولاد وعلى أولاد البنات، وإن كان التقسيم على أساس الأولاد، على أساس الأولاد الذكور.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ قَطَّعْنَاهُمْ؛ أي فصلنا فيما بينهم، فكانت كل مجموعة تنتمي إلى أحد أولاد يعقوب، فمثلاً هؤلاء ينتمون إلى يوسف، فيوسف هو ابن يعقوب، وهؤلاء ينتمون إلى بنيامين، وهؤلاء ينتمون إلى لاوي، وهكذا.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ﴾.

التعبير هنا جميل جداً: (إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ) أي أَنَّ بني إسرائيل طلبوا السقاية أو السقي، طلبوا الماء من نبيهم، كيف كان الطلب؟ نقرأ ما جاء في (تفسير القمي):

فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ -هكذا جاء في تفسير القمي وهذه هي أحاديثهم ورواياتهم صلوات الله عليهم- فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَبَّرَ بِهِمْ مُوسَى الْبَحْرَ نَزَلُوا فِي مَقَاظَ -"المقازة" هي الأرض الواسعة، هي الصحراء يقال لها مقازة- فَإِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمَّا عَبَّرَ بِهِمْ مُوسَى الْبَحْرَ نَزَلُوا فِي مَقَاظَ، فَقَالُوا: يَا مُوسَى، أَهْلَكْتَنَا وَقَتَلْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْعُمَرَانِ -كانوا في مصر ومر الحديث عن فرعون وعن إعمارهم وعن عمائرهم وعن مدنه الواسعة- يَا مُوسَى أَهْلَكْتَنَا وَقَتَلْتَنَا وَأَخْرَجْتَنَا مِنَ الْعُمَرَانِ إِلَى مَقَاظَ لَا ظِلَّ وَلَا شَجَرَ وَلَا مَاءَ، وَكَانَتْ تَجِيءُ بِالنَّهَارِ عِمَامَةٌ تُظِلُّهُمْ مِنَ الشَّمْسِ، وَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ الْمَنَّانُ فَيَقَعُ عَلَى النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْحَجَرِ فَيَأْكُلُونَهُ -"المَنَّان" نوع حلوى نزلت من السماء على بني إسرائيل، كأنها القطن الأبيض، إلى يومنا هذا في بعض المناطق الجبلية في الشرق الأوسط تنزل هذه المادة من السماء وتعرف بمن السماء- وَيَنْزِلُ عَلَيْهِمْ بِاللَّيْلِ الْمَنَّانُ فَيَقَعُ عَلَى النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْحَجَرِ فَيَأْكُلُونَهُ وَبِالْعَشِيِّ يَأْتِيهِمْ طَائِرٌ مَشْوِيٌّ فَيَقَعُ عَلَى مَوَائِدِهِمْ، فَإِذَا أَكَلُوا وَشَبِعُوا طَارَ، وَكَانَ مَعَ مُوسَى حَجَرٌ -حجر حجر- يَضَعُهُ فِي وَسْطِ الْعَسْكَرِ -في وسط العسكر؛ في وسط المخيم الذي يقطن فيه الإسرائيليون في تلك المقازة- ثُمَّ يَضْرِبُهُ بِعَصَا فَيَنْفَجِرُ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا كَمَا حَكَى اللَّهُ فَيَذْهَبُ إِلَى كُلِّ سِبْطٍ فِي رَحْلِهِ -يعني هذه العيون كل عين تسيل في مجرى وهذا المجرى يصل إلى كل سبط من الأسباط، إلى كل قبيلة من هذه القبائل- فَيَذْهَبُ إِلَى كُلِّ سِبْطٍ فِي رَحْلِهِ -في رحله؛ في مكان إقامته- وَكَانُوا اثْنَتَيْ عَشْرَ سِبْطًا، الْقِصَّةُ مَجْمَلَةٌ هُنَا فِي تَفْسِيرِ الْقَمِيِّ.

أمر مروراً سريعاً على الآية وأعتقد أن الصورة باتت واضحة: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَأَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ انبجست؛ نبعت، نبعت بنحو لا هي تسيل سيلاناً بطيئاً، ولا هي تلك التي انفجرت انفجاراً هائلاً، وإنما نبعت وتدفق الماء صافياً زلالاً يجري بسرعة إلى كل رحل، إلى كل مخيم لقبيلة من تلك القبائل الإسرائيلية، هذا هو معنى الانبجاس.

انبجست؛ تدفق الماء لا بقوة انفجار شديد ولا بسيلان بطيء ضعيف، وإنما يتدفق الماء متدافعاً حتى يصل إلى الجميع.

مَنْ تَابَعَ الحلقة الماضية ذكرتُ من أَنَّ الروايات حَدَّثَتْنَا حين ضرب موسى بعصاه البحر وانفتح لهم طريقٌ واسع، هم اقترحوا على موسى أن يفتح لهم اثنا عشر طريقاً، لكلِّ سبطٍ من الأسباط، فيبدو أَنَّ تناقضاً واضحاً فيما بينهم، لذلك حتَّى العيون كانت بعددِ الأسباط، بعددِ تلك القبائل، وكلُّ عَيْنٍ يتدفَّقُ ماؤها باتجاه المكان الذي سكنت فيه تلك القبيلة في تلك المفازة الواسعة.

فكان موسى يضع الحجر في وسط تلك المَخِيَمَات، الروايات تُحَدِّثُنَا عن هذا الحجر وَأَنَّ الإمامَ الحجة صلواتُ الله وسلامه عليه سيخرجه لأصحابه وسيحملونه حينما تتحرك قُوتَاتُهُ من الحجاز باتجاه العراق، ولهذا الحجر حكايةٌ في جيش الإمام صلواتُ الله وسلامه عليه، لا مجال للخوض فيها الآن.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا﴾ - هذه قبائلهم، القبائلُ اليعقوبيةُ الإسرائيلية - وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ - حين جاءوا يشكونه العطش والجوع - فَاَنْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا - تدفَّقُ الماءُ من تلك العيون وكلُّ عَيْنٍ لقبيلةٍ من تلك القبائل - قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ ﴿ هذه العيون مميّزة وكلُّ عَيْنٍ تجري في مسارها إلى قبيلتها.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ﴾ لو لم تُبَيِّنْ لنا الرواية التي قرأناها قبل قليل من أَنَّ هذه العيون تسيرُ في مجاري وكلِّ مجرى يذهب إلى قبيلة، لن نستطيع أن نفهم هذه العبارة: (قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ) فلربما يكون معناها أَنَّ العيون كانت مميّزة بعلامات، وكلُّ قبيلة تأتي إلى عينها، وهكذا كُلُّ الْقُرْآنِ سوف لن يكون واضحاً وصريحاً وبيّناً من دون حديثهم الشريف.

﴿قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ﴾ - في تلك الصحراء الحارة ظلَّلْنَا عليهم الغمام - وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى ﴿ أما (المَنَّ) فتلك الحلوى التي تنزلُ من السماء، بيضاء اللون، حلوة الطعم، طيبة الرائحة، خفيفة الطبع على مزاج الإنسان، يتلذَّذها ويستطعمها إذا ما تناولها، وإلى أيّامنا هذه فعلى رؤوس بعض الجبال في منطقة الشرق الأوسط وربما في مناطق أخرى من العالم تنزلُ هذه الحلوى.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ أما (السَّلْوَى) فهو طائر السَّمانا، هو الذي يسمَّى بالسَّلْوَى، فيقال السَّمانا، ويقال السَّلْوَى، ويقال ويقال، له أسماء أخرى.

﴿وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾ - السَّمانا - كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴿.

هذه هي الطيبات، فلا هي من أموال الظالمين ولا تدخل الإنسان في صناعتها وعبث فيها، هذه الطيبات على أكمل وجه من أيدي الملائكة إلى أفواه بني إسرائيل، ولكنهم بعد ذلك احتجّوا على هذه الطيبات.

﴿كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ هم احتجّوا بعد ذلك وطلبوا من موسى أن يأكلوا العدس والفوم والقثاء والبصل، إلى غير ذلك.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ نحنُ أحسنًا إليهم وأحسنًا، وصنعنا لهم المعجزات، أكثرُ أُمَّةٍ وأكثرُ شَعْبٍ رأى من المعجزات الهائلة، وأكثرُ أُمَّةٍ جادلت نبيها وأنبياءها على طول التاريخ.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ لقد رأوا من الآيات العَجَب، لقد رأوا عصا موسى، وهذه لوحدها تكفي، هذه التي خر الجبابرة لها، هذه التي ألقت السحرة ساجدين على وجوههم، لقد رأوا عجائب عصا موسى، ولقد رأوا يده البيضاء الباهرة، ولقد رأوا ما الذي جرى على الفراعنة الأقباط من ألم المجاعة والسنين التي أصابتهم، ونقص الثمرات بنحو إعجازي واضح جلي، ولقد رأوا ما رأوا من الآيات من الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، وكانوا هم بمنجى ومنأى من كل ذلك، الأقباط يتعذبون بكل ذلك، وهم في حالة مريحة، مع أنهم يعيشون معهم، فالدم في كل مكان في بيوت الأقباط وبيوتهم خالية من الدم، يأتون إلى النيل فيشربون ماء، ويأتي الأقباط فيشربون دماً، وجاء الرجز ذلك الجليد الأحمر، وبعد ذلك رأوا ما رأوا من آيات موسى وأعجبها حين عبروا البحر، وكيف عبر الإسرائيليون بقضهم وقضيضهم يسرون على مياه البحر الأحمر، عبروا البحر بعرباتهم وحيولهم وأغنامهم وماعزهم وأطفالهم وعجائزهم وشيوخهم، عبروا يعيشون حالة أمني وطمأنينة، يحدث بعضهم بعضاً، يتضحكون في حالة سرور ونصر حتى جازوا إلى الجهة الثانية، ورأوا فرعون بكل كبريائه كيف انطبقت الأمواج عليه وعلى جيشه، معجزات تتلو معجزات، وها هو الغمام يظللهم، وها هو المن والسلوى، وهذه العيون المنبجسات، وهل توقفت الآيات والمعجزات الموسوية الهارونية اليوشعية؟ ما توقفت، بقيت هذه المعجزات تترى وتترى على بني إسرائيل، كل ذلك لأنهم كلّفوا بدرجة أعلى من سائر الأمم السابقة بولاية (محمّد وعلي) والتي مسحوها بالكامل من ثقافتهم ودينهم، بالكامل مسحت وأزيلت.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ فلا نحن ظلمناهم، إنما أحسنّا إليهم، وحينما ظلموا فإنّ ظلمهم لن يصل إلينا، فهل يصل ظلم العباد إلى الله؟! فإنّ ظلم العباد سيحيط بالعباد أنفسهم.

﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ الظلم ظلام، والظلام زنانه يحبس الإنسان فيها نفسه بعيداً عن جادة الهدى.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ هذا بعد أن عبروا البحر، وهذه الحوادث ليست متصلة زماناً، هناك معطيات نحن لا نعرفها، لماذا؟ لأن الروايات لم تصل إلينا كاملة، لو كان تفسير إمامنا العسكري وصل إلينا كاملاً لعرفنا تمام الحقائق، لأن الذي يبدو مما وصل إلينا من جزء يسير من تفسير إمامنا العسكري أنّ الإمام العسكري قد فصل الأمور تفصيلاً كاملاً.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾ والقرية مدينة قيل هي أريحا وقيل غيرها، في فلسطين، في الشام.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم فأرسلنا عليهم رجلاً -الرجز هو العذاب- فأرسلنا عليهم رجلاً من السماء بما كانوا يظلمون﴾ الروايات تحدثنا عن (طاعون فاتك فتاك وهتاك فتك في بني إسرائيل).

ماذا جاء في تفسير إمامنا العسكري؟

أقرأ عليكم ما جاء في تفسير إمامنا العسكري صلوات الله وسلامه عليه: (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا) - إِنَّهُ بَابُ القرية، الباب الرئيس للقرية - مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَابِ مِثَالُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ - "مثال" يعني صورة، ولكنَّ الَّذِي وضع هذه الصورة هو الله، الملائكة وضعت هذه الصورة، هذا تجلٍّ من تجليات مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، حاله انكشاف لتجلٍّ من تجلياتهم بصورة مثال على باب تلك القرية، والَّذِي عُرِفَ في ثقافتنا بـ (بابِ حطّة) وفي أحاديثهم وفي زياراتهم أَنَّهُمْ بَابُ حَطَّةِ صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ - مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَابِ مِثَالُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَأَمْرَهُمْ -أَمْرُ بني إِسْرَائِيلَ- وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا تَعْظِيمًا لِدَلِكِ الْمِثَالِ وَيَجِدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِيَعْتَهُمَا وَذَكَرَ مَوَالَاتِهِمَا وَلْيَذْكُرُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ الْمَأْخُودِينَ عَلَيْهِمْ لَهُمَا، وَإِلَّا لَمَا جَرَى مَا جَرَى فِي كُلِّ هَذِهِ الْمَسِيرَةِ الْمَوْسُوِيَّةِ الْإِسْرَائِيلِيَّةِ، كُلِّ الَّذِي جَرَى فِي هَذِهِ الْأَجْوَاءِ، كَمَا قُلْتُ قَبْلَ قَلِيلٍ: خُصُوصِيَّةُ بني إِسْرَائِيلَ الَّتِي تَمِيزُوا بِهَا وَمِيزُوا بِهَا عَنْ بَاقِي الْأُمَمِ: تَكْلِيفُهُمُ الْمَفْصَلُ بَوْلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا، صَحِيحَ حَرْفُوا، حَذَفُوا، بَدَّلُوا، غَيَّرُوا، وَلَكِنْ بَقِيَ فِي الْوُجْدَانِ الْإِسْرَائِيلِيِّ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْعَقَائِدِ، وَمِنْ هُنَا هَاجَرُوا مِنْ بِلَادِ الشَّامِ مِنْ أَرْضِ الْعُمَرَانِ وَالْحَضَارَةِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حَيْثُ الصَّحْرَاءُ الْقَاحِلَةُ يَبْحَثُونَ عَنْ مَهَاجِرِ النَّبِيِّ الْخَاتَمِ، وَقَدْ قَرَأُوا فِي كُتُبِهِمْ، وَبَلَّغَهُمْ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ: أَنَّ النَّبِيَّ الْخَاتَمَ سَيَهَاجِرُ إِلَى مَدِينَةٍ يُقَالُ لَهَا يَثْرِبُ، فَجَاءُوا يَبْحَثُونَ عَنْ يَثْرِبِ، وَإِلَّا مَا الَّذِي جَاءَ بِالْيَهُودِ إِلَى جَزِيرَةِ الْعَرَبِ؟! جَاءُوا يَبْحَثُونَ عَنْ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حِكَايَةِ الْيَهُودِ طَوِيلَةً طَوِيلَةً.

مَثَلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْبَابِ -على باب القرية- مِثَالُ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَأَمْرَهُمْ أَنْ يَسْجُدُوا تَعْظِيمًا لِدَلِكِ الْمِثَالِ وَيَجِدُّوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِيَعْتَهُمَا وَذَكَرَ مَوَالَاتِهِمَا وَلْيَذْكُرُوا الْعَهْدَ وَالْمِيثَاقَ الْمَأْخُودِينَ عَلَيْهِمْ لَهُمَا وَقُولُوا حَطَّةً، أَيُّ قُولُوا: إِنَّ سَجُودَنَا لِلَّهِ تَعَالَى تَعْظِيمًا لِمِثَالِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، وَاعْتِقَادًا لَوْلَايَتِهِمَا حَطَّةً لِدُنُوبِنَا وَمَحُو لِسَيِّئَاتِنَا، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (نَغْفِرْ لَكُمْ) أَيُّ بِهَذَا الْفِعْلِ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ السَّالِفَةَ، وَنُزِيلَ عَنْكُمْ آثَامَكُمْ الْمَاضِيَةَ، (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ) مَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَمْ يُقَارَفِ الدُّنُوبَ الَّتِي قَارَفَهَا مَنْ خَالَفَ الْوَلَايَةَ، وَثَبَّتَ عَلَى مَا أُعْطِيَ اللَّهُ مِنْ نَفْسِهِ مِنْ عَهْدِ الْوَلَايَةِ، فَإِنَّا نَزِيدُهُمْ بِهَذَا الْفِعْلِ زِيَادَةَ دَرَجَاتٍ وَمَثُوبَاتٍ وَدَلِكِ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: (وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ).

(قَبِلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ) إِنَّهُمْ لَمْ يَسْجُدُوا كَمَا أُمِرُوا وَلَا قَالُوا مَا أُمِرُوا وَلَكِنْ دَخَلُوهَا مُسْتَقْبِلِيهَا بِأَسْتَاهِم -الأسْتَاهُ المراد بأدبارهم- وَلَكِنْ دَخَلُوهَا مُسْتَقْبِلِيهَا بِأَسْتَاهِم -"الأسْتَ" بالدقة هي فتحة الدُّبْرِ، فِي اللَّغَةِ هَذَا مَعْنَاهَا- وَلَكِنْ دَخَلُوهَا مُسْتَقْبِلِيهَا -دخلوا القرية، دخلوا الباب- مُسْتَقْبِلِيهَا بِأَسْتَاهِم وَقَالُوا: هَطًا سَمَقَانًا -هذه الكلمة ربَّما تختلف من نسخة إلى أخرى لأنها ليست عربية- أَيُّ حَنْطَةً حَمْرَاءَ نَتَقَوُّنَهَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ هَذَا الْفِعْلِ وَهَذَا الْقَوْلِ.

فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا غَيْرًا وَبَدَّلُوا مَا قِيلَ لَهُمْ وَلَمْ يَنْقَادُوا لَوْلَايَةِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ وَآلِهِمَا الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَفْسُقُونَ، وَالرَّجْزُ الَّذِي أَصَابَهُمْ أَنَّهُ مَاتَ مِنْهُمْ بِالطَّاعُونَ فِي بَعْضِ يَوْمٍ -في ساعات مات منهم كم؟- مِئَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، إِلَى آخِرِ مَا جَاءَ فِي الرَّوَايَةِ عَنْ إِمَامِنَا الْعَسْكَرِيِّ فِي تَفْسِيرِهِ الشَّرِيفِ.

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ -ولكن حينما تدخلون الباب اسجدوا لمثال محمد وعلي وقولوا هذه الكلمات: (اللَّهُمَّ حُطَّ عَنَّا ذُنُوبَنَا بِوَلَايَتِنَا لِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا) - وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا -"وقولوا حطة" إذا أردنا أن نفهم هذه الآيات من دون حديث أهل البيت ما معنى حطة؟! لا معنى لها، لا نعرفه- وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿ قَبْدَل الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا -عذاباً- مِّنَ السَّمَاءِ مِمَّا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾.

وصلنا إلى الآية الثالثة والستين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ -القرية مدينة- وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ -في رواياتنا: مدينة من مدن بني إسرائيل على ساحل البحر الأحمر- وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ حاضرة البحر؛ هي على ساحل البحر، هي في أكناف البحر.

﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ أحاديث أهل البيت تقول: إِنَّ عِيدَ الْيَهُودِ كَانَ الْجُمُعَةَ، وَحَتَّى النَّصَارَى، فِي كُتُبِ مُؤَرِّخِي النَّصَارَى وَفِي كُتُبِ الْمُحَقِّقِينَ مِنْهُمْ، خُصُوصًا الْمُعَاوَرُونَ حِينَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ عِيدِ النَّصَارَى، عَنْ عُطْلَةِ النَّصَارَى فِي يَوْمِ الْأَحَدِ، يَقُولُونَ: هَذِهِ عُطْلَةٌ مُّحَدَّثَةٌ، جَاءَتْ بَعْدَ ذَلِكَ، جَاءَتْ بَعْدَ الْمَسِيحِ بِفَتْرَةِ زَمْنِيَّةٍ بَعِيدَةٍ، حِينَمَا دَخَلَ الْإِمْبَرَاطُورُ قُسْطَنْطِينُ إِلَى الدِّينِ الْمَسِيحِيِّ بِدَأَتْ هَذِهِ الْعُطْلَةُ أَوْ بِدَأَ هَذَا الْعِيدُ الْأُسْبُوعِي، فَإِنَّهُ كَانَ عَلَى دِيَانَةِ يَعْْبُدُ فِيهَا الشَّمْسُ وَكَانَ يَوْمُ الْأَحَدِ (sunday) يَوْمَ الشَّمْسِ، كَانَ يَوْمًا يَعْيَدُ فِيهِ أَوْ يَعْطَلُ فِيهِ النَّاسُ مِمَّنْ كَانُوا عَلَى دِيَانَةِ قُسْطَنْطِينِ هَذَا، بَعْدَ ذَلِكَ صَارَ عِيدًا لِلْمَسِيحِيَّةِ، وَإِلَّا فَالْجُمُعَةُ هُوَ الْعِيدُ الْأَصْلُ، عَلَى أَيِّ حَالٍ، لَا نُرِيدُ أَنْ نَخُوضَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ، هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ نَضَعُهَا عَلَى الْحَاشِيَةِ، لَيْسَتْ مَهْمَةً.

بالنسبة للإسرائيليين فكان العيد الأسبوعي لهم الجمعة ولكنهم أعرضوا عنه، هذا الإعراض هو جزء من إعراضهم عن التمسك بعهود الولاية، فيوم الجمعة يومٌ له خصوصية في عهود الولاية وفي مواسمها، فاليهود عدلوا عن الجمعة إلى السبت، فحرم عليهم أن يصيدوا السمك في يوم السبت، وصياد السمك في يوم السبت لمدينة هي على ساحل البحر أمر في غاية الأهمية بالنسبة لمعاشهم ووضعهم الاقتصادي.

الفتنة أين؟

هم اختاروا السبت، تركوا ما أراده الله الجمعة، وهناك أحكام تترتب في ديانة اليهود في يوم عطلتهم، في يوم عيدهم، أن لا يباشروا عملاً تجارياً، كانت الأسماك تأتي بغزارة في البحر في يوم السبت، بحيث لو أن إنساناً أراد أن يمسك بها بيده لاستطاع من دون شبك، كانت الأسماك تأتي متدفقة من كل مكان فتغطي البحر، لكنها عند نهاية يوم السبت تذهب بعيداً، وحينما يأتي يوم الأحد لا يجدون سمكاً يصطادونه.

إذاً الحكاية من هنا بدأت: عيدهم الأسبوعي الديني الجمعة، عدلوا عنه إلى السبت، حَرَمَ عليهم صيد السمك في يوم السبت، بشكل عام يَحَرِّمُ عليهم الإتجار والعمل في يوم السبت، وإلى يومنا هذا اليهود الذين يلتزمون بتعاليم دينهم يلتزمون بهذه التعاليم، وتُسَبَّبَ لهم الكثير من المعاناة في العصر الحاضر، ففي يوم السبت لا يحقُّ لهم أن يصطادوا السمك، ولا يحقُّ لهم أن يأكلوا السمك، ولكن الأسماك تأتي بوفرة وغزارة وكثرة، وفي يوم الأحد لا يجدون سمكاً يصطادونه، يأكلونه، يتاجرون به، فماذا فعلوا؟ قطعاً جاءهم الشيطانُ هنا، يبدأ عملُ الشيطان، فأقنعهم من أنَّ التحريم يتعلَّقُ بأكل السمك لا يتعلَّقُ باصطياده، فاصطادوا السمك، وهياً لهم أفكاراً أن نصبوا شباكاً قبل يوم السبت فالأسماك تأتي فتقع في هذه الشباك، فهم لا يخرجونها في يوم السبت يخرجونها في يوم الأحد ويقولون: إننا ما اصطدنا سمكاً في يوم السبت، نحن اصطدنا السمك في يوم الأحد.

بعبارة أخرى: حيلة شرعية، ما يسمَّى بالحيل الشرعية في الوسط الديني، حتى في أوساطنا الدينية الشيعية هناك حيل شرعية تُصدِّرها المؤسسة الدينية لأتباعها، للشيعية، ونحن من أتباعها، من أتباع هذه المؤسسة، هناك ما يسمَّى بالحيل الشرعية، قطعاً لا علاقة لها بفقهِ آلِ مُحَمَّدٍ، هذه شَيْطَنَةٌ في شَيْطَنَةٍ واضحة جداً.

هذه حيلة شرعية، يَنْصَبُونَ الشباك في يوم الجمعة فتأتي الأسماك فتدخل في الشباك وتبقى في الشباك طيلة يوم السبت، يوم الأحد يخرجون الأسماك ويقولون: نحن اصطدنا الأسماك في يوم الأحد ونصبنا الشباك في يوم الجمعة.

والبعض منهم حَفَرَ أخاديد، سواقي من البحر، من الساحل وأدخلها إلى مسافة إلى داخل المدينة، وهناك حفروا أحواضاً، فلأنَّ الأسماك كثيرة تندفع في هذه الأخاديد، في هذه السواقي، فتصلُ إلى تلك الأحواض فإذا ما وصلت إلى تلك الأحواض، هذه الأحواض منخفضة فلا تستطيع الأسماك أن تخرج منها وأن تعود مرة ثانية إلى البحر فتبقى هناك، ففي اليوم الثاني يأخذونها ويقولون: نحن ما اصطدنا سمكاً، والحال أنهم اصطادوا، هذه طريقة صيد.

قد يقول قائل: ولماذا هذا الأمر؟ هذا هو الدين وهذه أحكامه، وليس لنا من حديث هنا في خلفية هذا الحكم، يمكن أن نتحدَّث في خلفيته، لكنني بشأن سرد حكاية وقصة يذكرها القرآن بين أيدينا، قصه مدينة أيلة، حاضرة البحر، قصة السمك والقردة والعجائب.

﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ﴾ - على بحر القلزم، وهو الاسم القديم للبحر الأحمر - **إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ** - يعدون؛ يتعدون، يعبرون الحدود، يتجاوزون ما حدَّدَ لهم من أحكام - **إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ** - في يوم السبت - **إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَعًا** تأتي الحيتان في يوم السبت بشكل واضح وبين بحيث أنَّ الناظر إلى مياه البحر لا يرى إلا سمكاً، والحيتانُ هنا هي الأسماك، فالسمك عنوان في الأصل لكل الحيوانات البحرية، وأمَّا الحيتانُ اسمٌ لما نُسَمِّيه اليوم بالأسماك، السمك عنوانٌ لكل الحيوانات البحرية في أصل اللغة، والحيتان التي هي جمع لحوت هو اسم لما نُسَمِّيه اليوم بالأسماك،

وأما ما نُسمّيه اليوم بالحوث فهو النون، ومن هنا كان النبي يُونس يُلَقَّب بِذي النون، فالنون هو الحوت، الَّذي يسمّى في أيامنا هذه بالحوث، الحيتانُ هي الأسماك، ما نُسمّيه اليوم بالأسماك.

﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا - بكَثْرَةٍ وَوَفْرَةٍ تَغْطِي الْمِيَاهَ - وَيَوْمَ لَا يَسْتَثْنُونَ - فِي بَاقِي أَيَّامِ السَّبْعِ - لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ - كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ - كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ - لِمَاذَا؟ لِمَاذَا هَذَا الْامْتِحَانُ الَّذِي قَدْ يَرَى فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْقَسْوَةِ؟ فَلْنَقْلُ هَكَذَا - كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ - لِمَاذَا؟ - لِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ - مَا نَحْنُ نَظْمُنَا حَيَاتِهِمْ وَجَعَلْنَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ لَهُمْ عِيدًا، وَهَذَا الْيَوْمُ يَرْتَبِطُ بِعُهُودِهِمْ وَمَوَاقِفِهِمْ، وَمَعَ كُلِّ تِلْكَ الْآيَاتِ وَالْمُعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ الَّتِي ارْتَبَطَتْ بِعُهُودِ وَمَوَاقِفِ الْوَلَايَةِ لِمُحَمَّدٍ وَعَلَيْ هَاهُمْ الْيَوْمُ يَنْسِفُونَ كُلَّ شَيْءٍ، حَتَّى هَذِهِ الطُّقُوسُ وَهَذِهِ الْعَلَامَاتُ وَهَذِهِ الْمُنَاسَبَاتُ وَإِذَا بِهِمْ يَحْرَفُونَ مُنَاسِبَةَ الْعِيدِ الْأَسْبُوعِيِّ إِلَى يَوْمِ السَّبْتِ، مِنْ هُنَا جَاءَ هَذَا الْامْتِحَانُ، فَلَوْ نَجَحُوا فِي الْامْتِحَانِ فَإِنَّ التَّوْفِيقَ سَيَقُودُهُمْ إِلَى تَصْحِيحِ أَخْطَائِهِمْ، وَلَكِنَّهُمْ مَا نَجَحُوا فِي الْامْتِحَانِ، الَّذِينَ نَجَحُوا فِي هَذَا الْامْتِحَانِ طَائِفَةٌ قَلِيلَةٌ نَجَتْ مِنْ عِقَابِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ لَعْنَتَهَا - وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةً الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْتَثْنُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ لِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعِذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ هذه الآية تُبَيِّنُ لَنَا أَنَّ سَكَّانَ الْمَدِينَةِ افْتَرَقُوا عَلَى ثَلَاثِ فِرَقٍ:

- فرقة كبيرة: ذكرت بعض الروايات أَنَّ عددهم يصل إلى سبعين ألف هؤلاء هم الَّذِينَ يَحْتَالُونَ بِتِلْكَ الْحِيلِ الشَّرْعِيَّةِ فِي اصْطِيَادِ الْأَسْمَاكِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، فالبعض يَنْصِبُ الشَّبَاكَ قَبْلَ يَوْمِ السَّبْتِ وَتَدْخُلُ الْأَسْمَاكُ فِي الشَّبَاكَ يَوْمَ السَّبْتِ وَهُوَ يَسْتَخْرِجُ شِبَاكَهُ يَوْمَ الْأَحَدِ، وَالبعضُ حَفَرَ الْأَخَادِيدَ، وَالبعضُ وَالبعضُ، بِالنَّاتِجَةِ احْتَالُوا عَلَى هَذَا الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ وَاصْطَادُوا الْأَسْمَاكِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ، هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ الْأَكْبَرُ مِنْ سَكَّانِ الْمَدِينَةِ.

- الفرقة الثانية: وهي فرقة قليلة، أَقَلُّ عِدَدًا مِنْ هَذَا الْجَمْعِ، هَؤُلَاءِ تَصَدَّوْا لِلْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

- فرقة ثالثة: ما اشتركت في الاصطِيَادِ وَلَكِنَّهَا سَكَتَتْ، وَكَمَا يَقُولُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: السَّكَتُ عَنِ الْحَقِّ -تَعْرِفُونَ- شَيْطَانٌ أَخْرَسَ، هَذِهِ فِرْقَةُ الشَّيَاطِينِ الْخُرْسِ، وَهَؤُلَاءِ كَثِيرٌ جَدًّا فِي الْوَسْطِ الدِّينِيِّ، خُصُوصًا فِي وَسْطِ رِجَالِ الدِّينِ، كَثِيرُونَ هَؤُلَاءِ: الشَّيَاطِينِ الْخُرْسِ، يَعْرِفُونَ الْحَقَائِقَ وَلَكِنَّهُمْ يَسْكُتُونَ، الْأَسْبَابُ كَثِيرَةٌ، وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَعْمَلُونَ بِالقَاعَةِ الْعِرَاقِيَّةِ الْمَعْرُوفَةِ: (أَكُلْ وَوَصَّوصْ) فَهُمْ يَأْكُلُونَ وَيُوصَّصُونَ.

هَذِهِ الْقَاعَةُ فِي أَصْلِهَا هِيَ قَاعَةُ (الصَيْصَانِ) وَالصَيْصَانُ جَمْعُ لَصُوصٍ، وَالصُوصُ هُوَ فَرَخُ الدَّجَاجَةِ الصَّغِيرِ، فَرَاخُ الدَّجَاجَةِ الصَّغَارِ الصَيْصَانُ تَدُورُ حَوْلَ أُمِّهَا، حَوْلَ الدَّجَاجَةِ وَتَأْكُلُ مَا تَوْفَّرَ الدَّجَاجَةُ لَهَا وَتُوصَّصُ، فَإِنَّهَا لَا تَبْذُلُ جَهْدًا، فَكَثِيرٌ مِنْ رِجَالِ الدِّينِ وَمِنْ أَصْحَابِ الْعِمَائِمِ، كَثِيرُونَ هُمْ فِي الْوَسْطِ الدِّينِيِّ مِنْ أَصْحَابِ الْعِمَائِمِ وَمِنْ غَيْرِهِمْ مِنْ وَجْهَاءِ الْقَوْمِ، كَثِيرُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ بِقَاعَةِ الصَيْصَانِ: (أَكُلْ وَوَصَّوصْ) وَسَبْعِينَ أَلْفَ عَافِيَةٍ!!

فإذا نحن في هذه المدينة في حاضرة البحر، وعلى ساحل البحر الأحمر، فرقة كبيرة تحتال بالحيل الشرعية، حتماً هذه الحيل جاءوا بها من المؤسسة الدينية، هناك من هو مستعد لأن يصدر الفتاوى كما يصطاح عليها في الوسط الديني بـ (الفتاوى البازارية) هذه فتاوى بازارية، فهناك من يصدر الفتاوى البازارية، على أي حال، مجموعة كبيرة من سكان مدينة أيلة يصطادون الأسماك بالحيل الشرعية، على اختلاف أنواعها بحسب فتاوى مراجعهم وفقهائهم.

ومجموعة رفعت صوتها تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر، بل هم قاموا بأمر يتجاوز هذا العنوان، إنهم صدعوا بالحق، لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيه شروط، أحد هذه الشروط أن يكون مؤثراً في الذي يؤمر بالمعروف أو ينهي عن المنكر، ولكنهم كانوا يعلمون هؤلاء القوم لا يؤثرون فيهم الكلام، ومع ذلك هم تكلموا وواجهوا هذا الأمر، وهذا لا يقال له أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، إنه صدع بالحق.

الصدع بالحق: هو أمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ولكن حينما يكون الطرف الآخر ليس قابلاً ولا يمكن أن يتأثر بهذا الوعظ وبهذا الإرشاد وبهذا البيان وبهذا الأمر وبهذا النهي ومع ذلك فإن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يصر على موقفه فذلك هو الصدع بالحق.

أما جماعة الصيوان: ياكل ويوصوص، هؤلاء الذين الناس يلبسون عليهم صفة القداسة، هذا رجل مقدس، لا يتكلم، دائماً يطرق بعينه، إذا ما تواجد بين الناس أخرج مسبحته وبدأ يحرك حباتها، ويتمتم، ولكن حينما يجلس وحده في بيته فإنه لا يدري ماذا يصنع، تارة يعبث بأفنه، وأخرى يحك بعلبائه، ولا يدري أين يضع يده في أي مكان، لكن بين الناس يخرج المسبحة هذا المقدس، أنا لا أتحدث عن خيال، أنا أتحدث عن واقع عملي عشته عقوداً من السنين فيما بين هؤلاء، هؤلاء الذين يأكلون ويوصوصون، إنهم الصيوان، صيوان المؤسسة الدينية.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمَ اللَّهِ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً - هَؤُلَاءِ لَا يَنْفَعُ الْكَلَامَ مَعَهُمْ، الْأَفْضَلُ أَنْ نَجْلِسَ فِي بَيْوتِنَا، أَنْ نَكُونَ أَحْلَاساً، هَذِهِ فِتْنَةٌ، مَوْلَانَا هَذِهِ فِتْنَةٌ - لِمَ تَعْظُونَ قَوْمَ اللَّهِ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ حينما سنسأل نقول: لقد فعلنا، أما النتائج فلسنا مسؤولين عنها نحن.

﴿مَعَذَرَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ربما، ربما يؤثرون فيهم الكلام، لكننا لا نبني على النتائج، نحن نؤدّي ما يجب علينا، ما يجب علينا أن نكون فاعلين لا أن نكون آكلين موصوصين كي نتجنب الفتنة، "مولانا هذا مورد شبهة، الاحتياط في مثل هذه المواطن هو الأفضل، أخوك دينك فاحتط لدينك" فلماذا لا تحتط يا عزيزي الصوص، عفواً يا عزيزي يا رجل الدين، لماذا لا تحتط وتمتنع من أخذ الأخماس لقول إمامك الحجة في توقيع إسحاق بن يعقوب: (وَأَمَّا الْخُمْسُ فَقَدْ أُبِيحَ لِشِيعَتِنَا وَجَعَلُوا مِنْهُ فِي حَلٍّ إِلَى وَقْتِ ظُهُورِ أَمْرِنَا)؟! أمر أباحه الإمام فلماذا توجبه أنت؟! وإذا قلت من أنك أوجبه من نصوص أخرى، هذا النص ألا يثير الشبهة؟ هذا النص ألا يلزمك بالاحتياط إذا كنت متبنياً لمسلك الاحتياط أيها الصوص؟ عفواً أيها الشيخ الجليل، أو أنك تتبنى هذا التوقيع الشريف: (أَكُلْ وَوَصَّوصْ)!! فإذا كنت تتبنى هذا التوقيع الشريف: (أَكُلْ وَوَصَّوصْ) ألا تخبرنا من أي ناحية

مُقَدَّسَةٌ وَرَدَ؟! فهل ورد من الناحية المقدَّسة للحجَّة بن الحسن؟! أم ورد من الناحية المقدَّسة لنهيَّة أمّ اللبّ؟! أرشدنا فإننا نبحتُ عن الحقيقة، الحقيقة: إنّ المبدأ الذي يتحرَّك هو مبدأ الصيضان؛ (أكل ووصوص) هكذا تجري الأمور.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ، مِنَ الَّذِينَ نَسُوا؟ السبعون ألف والصيضان أيضاً، لأنَّ أهل الحق بكلامهم هذا قد ذكَّروا مجموعة الصيضان، فحينما قالوا لهم: (لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا) ماذا قالوا لهم؟ (قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) قد بينوا التكليف لهؤلاء، ولذا حين نزل العذاب نزل العذاب على المجموعتين، المجموعة التي نجت هم الذين صدَّعوا بالحق، هؤلاء فقط الذين نجوا.

﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ -أما الذين ظلموا فهذا الوصف يشمل الاثنين، والعذاب البئيس وقع على الاثنين، والوصف بما كانوا يفسقون يشمل الاثنين- وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ -عتوا؛ أيَّ تمردوا، تمردوا وأصرُّوا عناداً واستمروا على تطبيقهم للحيل الشرعية- قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ الخاسئون جمع لخاسئ، والخاسئ هو الحقيِر المبعد.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

وأنا أقول هنا لكل أولئك الذين واجهتهم طيلة حياتي، مَنْ نصحوني، مَنْ عَنَّفوني، مَنْ انتقدوني، مَنْ هاجموني، مَنْ قالوا ما قالوا، يُريدون مني عن مواصلَة كشف الحقائق ووضع النقاط على الحروف، بنية حسنة، بنية لا معنى لها، بنية سيئة، بأي نية كانت، أقول لهم: إني فعلت ذلك وأفعل الآن وسأبقى مُستمرّاً إلى أن أعجز، أموت، لا أدري، سأبقى مُستمرّاً، كل ذلك معذرة إلى إمامكم، معذرة إلى إمامكم ولعلَّ أحداً ينتفع من ذلك، ولعلَّهم ينتفعون.

﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعَذَرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ العذاب البئيس هو العذاب الشديد الفاضح، عذاب شديد وفاضح ومهين، هذا هو العذاب البئيس.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ -بعذاب شديد وفاضح مهين، لماذا؟- بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ وهذا الوصف للمجموعتين:

- لمجموعة المحتالين شرعاً.

- ولمجموعة الصيضان.

لمجموعة الصيضان، لمجموعة الأحلاس، سمّ ما شئت، قد يقول قائل: (إنّ هذا الوصف ورد في كلماتهم الشريفة) نعم، ولكن كيف يفهم؟ كيف يطبق؟ كيف يحول إلى حقيقة على أرض الواقع؟ متى نعمل بهذه التعاليم؟ في أي زمان؟ في أي مكان؟ بخصوص أي شخص؟ ما هو هذا الفقه: (إذا أراد الله برجل خيراً ففقهه في الدين) ما هو هذا الفقه، هذا ما هو فقه الصيضان، هذا فقه جعفر بن محمد صلوات الله وسلامه عليه.

﴿وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَنِي إِسْرَءِيلَ مَا كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ ﴿فَلَمَّا عَتَوْا - قَرَدُوا - عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

مدينة أيلة وفي يوم من أيام الجمعة ازدحموا يهيئون أمورهم لاصطياد الأسماك بهذه الحيل الشرعية، عبر الشباك، عبر الأخاديد والأحواض، أو بأية وسيلة كانت، وأقبلت الأسماك شرعاً دخلت في الشباك ودخلت في السواقي والأحواض التي اصطنعوها في وسط المدينة، إنها ليلة السبت، ضجيج المدينة وأهل المدينة يتجولون في أحنائها، قبل هذا اليوم ما الذي حدث؟

الذي حدث أنّ المجموعة التي كانت تصدع بالحق قرّرت أن تخرج من المدينة، لماذا؟ لأنهم وجدوا أنّ هؤلاء القوم الذين يستعملون الحيل الشرعية لن ينفذ الكلام معهم، وكذلك أولئك الصيضان الشياطين الخرس هم على حالهم، فلذا قرروا الخروج من المدينة، وقالوا: لا بقاء لنا في مدينة كهذه، لقد أمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر، لقد نصحنّا، لقد صدعنا بالحق، بينا الحقائق، ولكن هؤلاء القوم في غيهم سادرون، لذا قرروا الخروج بعوائلهم وممتلكاتهم وذهبوا بعيداً خارج المدينة، أسسوا لهم مكاناً، نصبوا خياماً، النتيجة أنّهم خرجوا من المدينة، لمّا خرج أولئك القوم الذين صدعوا بالحق وغلّقت المدينة أبوابها، فالمدن القديمة كانت تحصن وتوضع لها الأبواب وعند المساء، عند الغروب تغلق الأبواب، فلما غلّقت المدينة أبوابها ولم يبق فيها إلا أولئك الذين استعملوا الحيل الشرعية في اصطياد الأسماك، وهم فرحون مرتاحون فقد تخلصوا من هؤلاء المزعجين، هؤلاء الذين كانوا يصدعون بالحق، على طول الخطّ الصادعون بالحق هم مصدر إزعاج، مصدر إزعاج لأصحاب النفوذ، مصدر إزعاج للسلطات السياسية، ومصدر إزعاج للسلطات الدينية، للمؤسسة الدينية، لرُعاة الدين، ومصدر إزعاج لأولئك الذين يريدون أن يعيشوا حالة القداسة ويصطادون الناس بمصائد الدين، ويوقعون الناس في كمائن الشر، ينصبون كميناً هنا ومصيدةً هناك بالأحاييل الدينية الشيطانية التي تتلون بأشكال مختلفة وبمظاهر متعددة، على أي حال.

فأهل أيلة إذاً تخلصوا من هذا الإزعاج المّكرّف من هؤلاء الذين يصدعون بالحق، إنّهم مصدر إزعاج، ثقلون على المعدة، هؤلاء ثقلوا الظلّ على هذه الجموع التي تريد أن تتمتع بهذه الدنيا، المؤسسة الدينية هي الأخرى ارتاحت، هدأ بالها، والصيضان أيضاً فرحوا فهؤلاء القوم قد خرجوا، لماذا فرح الصيضان؟ لأنّ الصدع بالحق يفضحهم، يتمنون أن يكونوا صادعين بالحق لكنهم لا يستطيعون، هذا الأمر يحتاج إلى توفيق، فما بين الحسد للصادعين بالحق، وما بين البغض لهم، وما بين الخوف من الفضيحة بسبب الصدع بالحق هذا، وما بين، وما بين...، يبغضون الصادعين بالحق بنحو أشد وأقوى من أولئك الذين كانوا يصطادون بالحيل الشرعية، لأنّ هؤلاء يريدون أن يأكلوا، أن يشربوا، أن يتمتعوا، بينما هؤلاء الصيضان يريدون أن يتزعموا باسم الدين،

تلك هي الحقيقة، حقيقة الدين ورجال الدين وأهل الدين والمتدينين على طول الخط، ما الذي جرى في الليل؟

نزل العذاب البئيس فمسخ القوم بأجمعهم قردة، مسخت المدينة بالكامل، مؤسستها الدينية، صيانتها، مؤسسا الحيل الشرعية، كل أولئك مسخوا عن آخرهم، مسخوا قردة خاسئين، (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ).

المدينة هادئة عند الصباح، ما الخبر؟! اليوم هو يوم الأحد، يفترض أن الأبواب تفتح منذ الصباح، وأن القوم سيتراکضون إلى شباكهم سيجمعون الأسماك، اليوم يوم عمل، لماذا المدينة مغلقة؟!

فجاء أقوام من القرى المحيطة بهذه المدينة، جاءوا للبيع والشراء ولشؤونهم، وجاء البعض من أولئك الذين كانوا يقطنون في هذه المدينة، من أولئك الذين صدعوا بالحق، المدينة هادئة، رفعوا أصواتهم ينادون على أهل المدينة ولكن ما من جواب، حينئذ لما يتسوا من الأمر نصبوا السلام فصعدوا، فماذا رأوا؟ رأوا أن المدينة تَمُوجُ بالقردة، قردة قردة قردة في كل مكان، أخذوا يبحثون عن إنسان واحد ما وجدوا، الجميع قردة، أصحاب الحيل الشرعية ومن علمهم والصيوان الجميع قردة، (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ - كما في الآية السادسة والسّتين بعد المئة - فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) الجميع قردة، فصعد الناس على أسوار المدينة خصوصاً من كان منهم له أقباء، الناس ما عرفوا أقباءهم، لأن الجميع تحولوا إلى قردة، لكن الغريب أن القردة عرفت أقباءها من البشر وبدأوا يقتربون منهم من أسوار المدينة وعيونهم دامعة، فماذا يصنعون لهم؟! يخافون أن يفتحوا أبواب المدينة، بقيت المدينة مغلقة وانتشر الخبر فجاء الناس من كل مكان يطلّون على مدينة أيلة.

مدينة أيلة هذه في أحاديث أهل البيت لها صلة بثمود، صحيح هي من مدن بني إسرائيل ولكن هناك صلة فيما بينها وبين بقايا قوم ثمود، والكلام عن علي، عن سيد الأوصياء، أنا أقرأ من تفسير القمي: (عن باقر العلوم عن سيد الأوصياء: أَنَّ قَوْمًا مِنْ أَهْلِ أُيْلَةَ مِنْ قَوْمِ ثَمُودَ...) وتستمر الحكاية، فهذه المدينة مدينة إسرائيلية قطعاً، لكن قوماً من ثمود اختلطوا بالإسرائيليين في هذه المدينة، ماذا يقول سيد الأوصياء؟

مر علينا في الحلقات المتقدمة حينما تحدثت عن هذا المصطلح: (آلاء الله) آلاء الله محمد وعلي، وقرأت عليكم ما جاء في الرواية عنهم صلوات الله عليهم فيما يرتبط بسورة الشمس: (وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا)، (كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا) الرواية عنهم: ثمود رهط من الشيعة، مر الحديث في هذه المسألة لا أريد أن أعيد.

ولكنني أقرأ ماذا قال أمير المؤمنين والرواية في (تفسير القمي) أمير المؤمنين يقول: وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ أَوْ (النَّسْمَةَ) إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا، أنساب من؟ أعرف أنساب هذه المدينة، مدينة أيلة، المدينة الثمودية الإسرائيلية، ماذا يقول أمير المؤمنين؟ وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسْمَةَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ - ففي هذه الأمة من هو منتسب إلى تلك المدينة، وحين يتحدث عن هذه الأمة المعنى الأول لكلمة الأمة: (شيعة أهل البيت) ربما أريد كل أهل القبلة، ولكن المعنى الأول لأمة النبي هم شيعة أهل البيت،

هذا الَّذِي جاء واضحاً في أحاديثهم الشريفة صلواتُ الله عليهم- وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -ماذا يفعلون هؤلاء؟ ما هي علامتهم؟- لَا يَنْكُرُونَ وَلَا يُغَيِّرُونَ بَلْ تَرَكُوا مَا أَمَرُوا بِهِ فَتَفَرَّقُوا، الْمَجَامِيعُ الَّتِي تَنْتَمِي فِي وَسْطِنَا لِهَذِهِ الْمَدِينَةِ، لِمَدِينَةِ الْقَرْدَةِ، مَا هِيَ أَوْصَافُهُمْ؟ أمير المؤمنين يقول: لَا يَنْكُرُونَ وَلَا يُغَيِّرُونَ، الصيصان، الصيصان، الصيصان.

المدينةُ مدينةُ أيلة أين هي الآن؟ ثلاثة أيام ونزلت عليها الأعاصير، أعاصير وأمطار شديدة، وجُرِفَتْ إلى البحر وذهبت في البحر، فَإِنَّ الْمَسُوخَ لَا تَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، هَكَذَا قَالَ لَنَا أَهْلُ الْبَيْتِ، وَأَهْلُ الْبَيْتِ أَدْرَى بِمَا فِي بَيْتِهِمْ، وَهَذَا الْكُونُ هُوَ بَيْتُهُمْ، فَأَهْلُ الْبَيْتِ هُمْ أَهْلُ الْكُونِ، فَأَهْلُ الْبَيْتِ وَالْبَيْتُ هَذَا الْكُونُ هُمْ أَدْرَى بِبَيْتِهِمْ، هُمْ قَالُوا لَنَا: إِنَّ الْمَسُوخَ لَا تَبْقَى أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، بَقِيَتْ الْقَرْدَةُ الْخَاسِئَةُ فِي مَدِينَةِ أَيْلَةَ كَمَا تَقُولُ الرِّوَايَاتُ: تُحْرَكُ أُذُنَابُهَا وَتَتَعَاوَى، فَلَا صَوْتَ، وَلَا حَدِيثَ، إِنَّهَا تَتَعَاوَى بِتِلْكَ الْأَشْكَالِ الْقَبِيحَةِ الْمَشْوُوهَةِ، مَسُوخٌ، مَسُوخٌ، مَسُوخٌ، يَنْظُرُونَ إِلَى أَقْرَبَائِهِمْ، وَقَطْعاً سَيَنْظُرُ الصَّيْصَانُ إِلَى أَوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَعُوا بِالْحَقِّ، سَيَعْرِفُونَهُمْ، الرِّوَايَاتُ تَقُولُ: مَنْ أَنَّ أَرْحَامَهُمْ مِنَ الْبَشَرِ مَا كَانُوا يُمَيِّزُونَهُمْ، وَإِنَّمَا الْقَرْدَةُ هِيَ الَّتِي تُمَيِّزُ أَرْحَامَهَا، فَهَذَا الْإِنْسَانُ الْمَسْخُ لَا يَزَالُ يَشْعُرُ بِمَاضِيهِ وَيَشْعُرُ بِحَاضِرِهِ وَذَاكَرَتُهُ مَوْجُودَةً عِنْدَهُ، مُسْخٌ، تَحَوَّلَ إِلَى قَرْدٍ خَاسِئٍ، لَكِنَّهُ يَسْتَشْعِرُ الْمَاضِي، وَيَسْتَشْعِرُ الْحَاضِرَ، وَيُمَيِّزُ الْأُمُورَ، وَيَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ مِنْ يَدِهِ، وَيَعْلَمُ أَنَّ هَؤُلَاءِ إِنَّمَا نَجَوْا لِأَنَّهُمْ صَدَعُوا بِالْحَقِّ.

الْمَسُوخُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مَسُوخٌ بَاطِنِيَّةً، وَلَا أَعْتَقِدُ أَنَّ مَسْخاً هُوَ الْعَنْ وَأَشَدُّ وَأَقْبَحُ مِمَّا جَاءَ فِي حَدِيثِ إِمَامِنَا الصَّادِقِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ عَنْ أَوْلَئِكَ الَّذِينَ يَتَعَلَّمُونَ بَعْضَ عُلُومِ أَهْلِ الْبَيْتِ الصَّحِيحَةِ وَيُضَيِّفُونَ إِلَيْهَا أَضْعَافَهَا وَأَضْعَافَ أَضْعَافِهَا مِنَ الْأَكَاذِيبِ عَلَى آلِ مُحَمَّدٍ الَّتِي آلُ مُحَمَّدٍ مِنْهَا بُرَاءٌ كَمَا يَقُولُ صَادِقُ الْعَتَرَةِ، وَالرِّوَايَةُ هُنَا فِي تَفْسِيرِ إِمَامِنَا الْعَسْكَرِيِّ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: أَوْلَئِكَ أَضَرَّ عَلَى ضُعْفَاءِ الشَّيْعَةِ مِنْ جَيْشِ يَزِيدَ عَلَى الْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ، هَلْ هُنَاكَ مِنْ مَسْخٍ أَقْبَحَ مِنْ يَزِيدٍ؟! لَيْسَ هُنَاكَ مِنْ مَسْخٍ هُوَ أَقْبَحَ مِنْ يَزِيدَ وَمِنْ أَتْبَاعِ يَزِيدَ، الشَّمْرُ وَحَرْمَلُهُ وَعَمْرُ بْنُ سَعْدٍ وَابْنُ مَرْجَانَةَ وَ...، حِكَايَةُ الْمَسُوخِ الطَّوِيلَةِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَهَؤُلَاءِ مِنْ عُلَمَاءِ الشَّيْعَةِ الصَّادِقِ يَقُولُ: هُمْ أَضَرَّ عَلَى ضُعْفَاءِ شَيْعَتِنَا مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَسُوخِ، هَذِهِ الْعَنْ وَأَشَدُّ وَأَبْغَضُ عَمَلِيَّةِ مَسْخٍ.

فَالْمَدِينَةُ اقْتَلَعَتْهَا الْأَعَاصِيرُ وَالْأَمْطَارُ وَرَاحَتْ تِلْكَ الْمَدِينَةُ فِي الْبَحْرِ، وَلَكِنْ بَقِيَتْ فُرُوعُهَا وَرُمُوزُهَا فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ -لَأَعْرِفُ أَنْسَابَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ مِنَ الَّذِينَ صَارُوا قَرْدَةً- إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ).

الْقُرْآنُ ذَكَرَ الْقَرْدَةَ، فِي الرِّوَايَاتِ ذُكِرَ الْقَرْدَةُ وَالْخَنَازِيرُ، الْقُرْآنُ أَشَارَ إِلَى الْقَرْدَةِ وَلَكِنَّ الرِّوَايَاتِ تَحَدَّثَتْ عَنْ أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ هَذِهِ قَدْ تَحَوَّلُوا إِلَى قَرْدَةٍ وَإِلَى خَنَازِيرٍ، فَيَبْدُو مِنْ أَنَّ التَّرْكِيزَ عَلَى الْقَرْدَةِ هُنَا أَنَّ الَّذِينَ كَانُوا هُمْ الْأَسْوَأُ الَّذِينَ كَانُوا هُمْ الْأَسْوَأُ هُمْ الصَّيْصَانُ هَؤُلَاءِ الْقَرْدَةُ الَّذِينَ يَتَقَافِزُونَ مِنْ مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ بِحَسَبِ الْمَصَالِحِ، وَأَمَّا الْبَقِيَّةُ فَلَرَبَّمَا يَنْطَبِقُ عَلَيْهِمْ عُنْوَانُ (الْخَنَازِيرِ) لِأَنَّ الْخَنَزِيرَ عُنْوَانُ الشَّهْوَةِ وَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ كَانُوا يَسْتَعْمَلُونَ الْحِيلَ الشَّرْعِيَّةَ لِأَجْلِ اصْطِيَادِ الْأَسْمَاكِ كَانَتْ الشَّهَوَاتُ الْمَادِّيَّةُ هِيَ الَّتِي تَدْفَعُهُمْ، بَيْنَمَا الصَّيْصَانُ

هؤلاء لهم مطاعمهم وأهدافهم التي يطوفون حولها، وعلى أي حال مَسُوخٌ مَسُوخٌ، قردة، خنازير، النتيجة واحدة.

فماذا يقول سيد الأوصياء؟ (وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنِّي لَأَعْرِفُ أَنْسَابَهَا مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ، مَا هِيَ صَفَتُهُمْ؟ يقول: لَا يُنْكِرُونَ وَلَا يُغَيِّرُونَ) لا إنكار ولا تغيير، الذين لا ينكرون القبائح والمفاسد وأقبح القبائح وأفسد المفاسد الفكر الناصبي الذي نخر العقل الجمعي لشعبة آل محمد، الذي لوث ساحة الثقافة الشيعية، هذا هو أقبح القبائح وأنكر المنكرات وأفسد المفاسد، والجميع يطرقون برؤوسهم إذا ما ذكرت هذه الحقائق، هنيئاً لكم أيها الصيغان، فكلوا ووصوصوا هنيئاً مريئاً!!

في الآية السابعة والستين بعد المئة من سورة الأعراف: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

الآية هنا تتحدث عن سنة إلهية جرت في الأمم السالفة وطُبِّقَتْ على بني إسرائيل، فبعد كل هذه الأحداث، ما جرى عند باب حطة، وكيف أن الإسرائيليين استهزأوا بعهودهم ومواثيقهم التي مضمونها الوفاء بالولاء لمحمد وعلي صلي الله عليهما وآلهما، وكذاك ما جرى في المدينة الحاضرة البحر في قصة الأسماك والمسوخ وسائر التفاصيل الأخرى التي مر ذكرها، وما مر قبل ذلك وما جاء بعد ذلك.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.

مَنْ يَسُومُهُمْ؟ من يجرعهم، من يجري عليهم سوء العذاب، وفعلًا هذا الذي جرى على بني إسرائيل عبر التاريخ، عبر التأريخ والآلام تترى على بني إسرائيل، ولربما من أهون ما جرى على بني إسرائيل هو استحقاق الأمم لهم أينما حلوا، أينما حلوا فإن الشعوب والأمم كانت تحتقرهم، صحيح الآن الأمور تبدلت، العالم كله تبدل، ولكن إذا رجعنا إلى مئة سنة من هذا التأريخ فإن الأمور مختلفة جدًا، فقد جرى ما جرى على اليهود وجرى ما جرى على بني إسرائيل والتأريخ بين أيدينا، وما جرى عليهم في ألمانيا فليس ببعيد.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ وهذه المضامين إذا أردنا أن نبث عنها في الكتاب المقدس، في كتاب العهد القديم، سنجد الكثير والكثير من تهديد الرب لبني إسرائيل ولما سيجري عليهم من العذاب والعقوبات والآلام بسبب ما صدر منهم، هذه المعاني واضحة جدًا لمن أراد أن يراجع كتاب العهد القديم.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

ففي نفس الوقت هو سريع العقاب ولكنه غفور رحيم، أسماءه الجمالية تستبطن أسماءه الجلالية، وأسماءه الجلالية تستبطن أسماءه الجمالية، ف (الرحمن، والرحيم، والروؤف، والحنان) كل هذه الأسماء الجمالية تستبطن (القوي، الجبار، القهار) تستبطن كل هذه المعاني، لكنها تظهر في جمالها وتستبطن جلالها،

وكذاك (القهار، الجبار، القوي) هذه أسماء الجلال تستبطن معنى (الرحيم، والرحمن، والروؤف) وسائر المعاني الجمالية الأخرى.

- فالجلال ظاهر لكنه يستبطن الجمال.

- والجمال ظاهر لكنه يستبطن الجلال.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ نحن الذين نستنزل فيض أسمائه الجمالية أو نستنزل فيض أسمائه الجلالية بنياتنا أولاً، بعقولنا ثانياً، بأعمالنا ثالثاً، بما نحن عليه رابعاً، هكذا نظام الأسماء، وهكذا تتحرك المَتحركات وتسكن السواكن على صفحة الوجود هذا.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ "إلى يوم القيامة" هذا العنوان في أحاديث أهل البيت المعنى الأول له: قيام إمام زماننا، إلى يوم القيامة فإن دولة الحق دولة الرحمة ودولة الهداية ودولة الإيمان ودولة العدل والقسط.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - إِلَى يَوْمِ قِيَامِ الْقَائِمِ - مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ قد يصدق، قد، و"قد" إذا ما جاءت قبل الفعل المضارع فإنها تُفيد التقليل، إذا جاءت قبل الفعل الماضي فإنها تُحقق الوقوع، تؤكد الوقوع، قد ذهب، أكيداً، قد يذهب للتقليل، هناك احتمال، فلذا أقول: قد يصدق ظن من يقول من الدارسين لشؤون الغيبة ولعلامات الظهور من أن تأسيس دولة إسرائيل وأن ينال الإسرائيليون هذه القوة وهذه المنعة هي علامة قريبة لظهور إمام زماننا، خصوصاً إذا ما قلنا أن المراد من يوم القيامة هنا هو يوم قيام القائم.

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ قطعاً ليس المراد في تطبيق السنن الكونية أن الإسرائيليين سيحل عليهم العذاب في كل ثانية في كل يوم إلى يوم القيامة، أبداً، وإنما المقصود في السنن الكونية أن الذي يغلب على حالهم هو هذا، وقد مر علينا مصداق واضح في الآيات القرآنية في نفس سورة الأعراف: (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضُرَّعُونَ) -أخذناهم بالبأساء والضراء لا يعني في كل دقيقة في حياتهم، الذي يغلب على حياتهم- وهذا يتضح من الآية التي بعدها: ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) هذا الجيل الثاني يتحدث عن الجيل السابق الذي قالت عنه الآية السابقة: (أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ) البأساء والضراء، البأساء ألم، والضراء ألم، بينما هؤلاء يتحدثون عن ذلك الجيل، عن نفس ذلك الجيل: (قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ) الضراء ألم، والسراء فرح، قوانين الكون هكذا تجري، حينما يقال من أن أمة طبق عليها هذا القانون قانون العذاب لا يعني أن هذه الأمة ستبقى في حالة عذاب على طول الوقت، أو أن الأمة جرت عليها سنن الإذلال لا يعني أنها ستكون ذليلة في جميع أحوالها في كل ثانية من ثواني تاريخها وحياتها، أبداً، السنن لا هكذا تجري، وإنما ما يغلب على مسيرة تلك الأمة هو الذي يقال عنه، وهكذا تطبق السنن الكونية الإلهية ففي نفس السنن هذه هناك فسحة للتنفيس وللراحة، بعد ذلك هناك قانون البداء، ولربما تغير بعض الناس، وفي تغير بعض الناس تتغير المقادير،

وهناك أسباب تُؤدّي لتخفيف البلاء والعذاب، (لَوْلَا بَهَائِمُ رَتَّعَ -البهائم الحيوانات الرائحة المستقرّة في حياتها- لَوْلَا بَهَائِمُ رَتَّعَ وَشِيوخُ رَكَّعَ وَشَبَابٌ خُشَّعَ وَأَطْفَالٌ رَضَّعَ لَصَبَّتْ الْبَلَاءُ عَلَيْكُمْ صَبًّا) ففي هذه الأمم تكون أمثال هذه الأسباب، ليس الحديث في تفاصيل السنن الكونية وكيف تجري، نحن والآيات:

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ فحينما يكون هناك مقطع زمني يعيشون فيه القوة والمنعة، لا يوجد تعارض فيما بين هذا المعنى وبين ما جاء في هذه الآية، فإن السنن الكونية إذا ما طبقت على الأمم والشعوب لا تجري بحساب الثواني، وإنما تجري بحساب الغالب من الحوادث والأحداث، والبداء حاكم، وحينما تتغير بعض المفردات في حياة نفس تلك الأمم التي حكمت بالقانون كذا وبالقانون كذاك، حينما تتغير المفردات تتغير الطريقة التي يطبق بها هذا القانون أو تلك السنة، هكذا تجري الأمور، وهذا المعنى واضح جداً لمن كان متدبراً وعارفاً بشؤون ثقافة الكتاب والعتره، وقصص بني إسرائيل التي تقدّمت والتي ستأتي كلّها تتعاقب في مضامينها وفي دلالاتها مع هذا الذي أقوله ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لِيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وفي الآية التي بعدها: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا﴾ أي أنهم تفرّقوا، ومن درس تأريخ بني إسرائيل فإنه سيتلمس هذه الحقيقة بشكل واضح، تفرّقوا قبل أن يتجمعوا في فلسطين تفرّقوا في كلّ مكان.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ﴾ -بحسب موازين دينهم- مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ ﴿وربما أريد الصالحون بحسب موازين الدنيا، قطعاً بعد بعثة المسيح فالأمور تغيّرت، تغيّرت قواعد الحكم عليهم بالصلاح وبالفساد، ولكن هناك الصالحون دينياً، وهناك الصالحون دنيوياً، كثير من الناس أخلاقهم حميدة، طباعهم جميلة، لا يلتزمون بأحكام الدين ولكنهم لا يؤذون أحداً، يمارسون حياةً منتظمة، أمثال هؤلاء نحن نعيش بينهم في بلاد الغرب، أكثر الناس في بلاد الغرب هكذا، وفي بلدان أخرى كثيرة، ففارق بين المصطلح الديني وبين المصطلح الدنيوي، فهناك صالحون في هذه الحياة، وصالحون بحسب المصطلح الدنيوي، وصالحون بحسب المصطلح الديني.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾ -بلوناهم؛ امتحناهم، فالبلاء في جانب من معانيه هو الامتحان- وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴿تقلّبت حياتهم ما بين ما يؤدّي إلى حسنات بحسب المصطلح الديني، أو إلى سيئات بحسب المصطلح الديني، أو أن المراد من الحسنات ما هو مريح لهم في الحياة، ومن السيئات ما هو منغص للمزاج، ولمعاشهم اليومي، وكلّ المعاني تلتقي في نقطة واحدة هو الامتحان.

﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يرجعون إلى درب الهدى، لعلهم يرجعون إلى ساحة الحق والحقيقة.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ -الأجيال التي جاءت بعد تلك الأجيال ورثوا الكتاب- فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ -الحديث عن كتاب موسى- يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى ﴿عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى؛

الأدنى: القريب.

والعرض: هو الزائل المتحرك.

يأخذون ما يجدونه سهلاً مستسهلاً، والكلام هنا عن الدنيا ومتاعها.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ وبقرينة وراثته الكتاب الحديث عن رجال الدين، الحديث عن المؤسسة الدينية، فالعلماء ورثة الأنبياء، هذا المضمون موجود في ثقافتنا وموجود في ثقافة اليهود والنصارى أيضاً.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى -يستسهلون ما هو قريب إليهم من أمور الدنيا- يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ﴾ هم يطلبون المغفرة ولكن لو تكررت الأمور التي هي باعثة على أخطائهم سيعيدون الكرة ثانية.

﴿وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ -هذا الميثاق أخذ على من؟ على أحبارهم، على علمائهم- أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ﴾ حديث عن المؤسسة الدينية، ورثوا الكتاب، أخذ عليهم ميثاق الكتاب أن لا يقولوا على الله إلا الحق، من الذين يتكلمون باسم الله؟! ودرسوا ما فيه، ودرسوا ما في الكتاب، من الذين يدرسون ما في الكتاب؟! خصوصاً اليهود والنصارى الذين جعلوا الكتاب حكرًا على أحبارهم وعلى علمائهم وقساوستهم، على الأقل في الأجيال السابقة.

﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ هذا الخطاب لمن؟ للجميع، ولكن لرجال الدين بنحو خاص.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ﴾ هذا يعني أن أكثر الحديث فيما سلف هو عن رجال الدين، ومن هنا فإن القردة الخاسئين هم رجال الدين، الخنازير الذين ذكروا في الروايات هم أولئك الذين اصطادوا الأسماك بالحيل الشرعية التي أخذوها عن القردة الخاسئين، عن نماذج من القردة الخاسئين، وإلا فالقردة الخاسئون هنا هم الذين قاموا بدور (الصيوان) هذا إذا جمعنا بين كل التفاصيل بين هذه الآيات وبين الآيات التي ذكرت في سور أخرى تحدثت عن شؤون بني إسرائيل، ووضعنا الأحداث في سلة واحدة، في منظومة واحدة، تتجلى هذه الحقائق بصحة حديث أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى -ما يستطيعون أن ينالوه من هذه الدنيا- وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا -ولكن هل يتوبون؟ هل يصححون أخطاءهم؟- وَإِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ -وقد درسوا الحقائق ولكنهم ماذا يفعلون؟ يحرفون الحقائق، وما الحيل الشرعية التي أعطيت لهؤلاء إلا مصداق من مصاديق هذا التحريف، لأنهم سينالون شيئاً من أموال الأسماك تلك- وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

في الآية السبعين بعد المئة: ﴿وَالَّذِينَ يَمْسُكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ -والذين يمسكون بالكتاب إما تعني أنهم يتمسكون بالكتاب أو تعني المعنى الأدق: يمسكون بالكتاب؛ هم سبب إذا ما تمسكنا بهم فإننا تمسكنا

بالكتاب، يَمَسْكُون، يَمَسْكُون الآخَرِينَ بالكتاب- وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ ﴿١٠﴾ هؤلاء الَّذِينَ يَصْلَحُونَ الأرضَ بعد فسادها، ومَرَّ عَلَيْنَا إِنَّ إِصْلَاحَ الأرضِ بعد فسادها كَانَ بِمُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ، وَكَانَ شِعَارَ الْحُسَيْنِ هُوَ طَلَبُ الْإِصْلَاحِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، فِي أُمَّةٍ جَدَّهُ، بِسِيرَةِ جَدِّهِ مُحَمَّدٍ وَأَبِيهِ عَلِيٍّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِمَا وَآلِهِمَا.

فِي الرِّوَايَاتِ: هَذِهِ الْآيَةُ فِي آلِ مُحَمَّدٍ، فِي آلِ مُحَمَّدٍ وَفِي أَشْيَاعِهِمْ، هَذِهِ الْآيَةُ تُقَارَنُ بَيْنَ الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ وَبَيْنَ آلِ مُحَمَّدٍ، بَيْنَ أَوْلَئِكَ الْأَحْبَارِ الَّذِينَ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ وَعَبَثُوا فِيهِ، وَبَيْنَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَمَسْكُون بِالْكِتَابِ ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾.

حُبَّ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ إِلَى الشَّارِبِ

الآيَةُ السَّبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَالَّذِينَ يَمَسْكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الْآيَةُ فِي كُلِّ أَجْزَائِهَا فِي آلِ مُحَمَّدٍ مِنْ جِهَةٍ وَمِنْ جِهَةٍ فِي أَشْيَاعِهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ يَمَسْكُونَ بِالْكِتَابِ﴾ هُمُ الَّذِينَ التَّزَمُوا بِهِ وَاسْتَمْسَكُوا بِهِ وَتَمَسَّكُوا بِهِ.

﴿وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ بِمَعْنَاهَا الْأَتَمُّ لَا يَتَحَقَّقُ إِلَّا مِنْهُمْ وَفِيهِمْ وَبِهِمْ.

﴿إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ الْمُصْلِحُونَ هُمْ وَالْإِصْلَاحُ بَرْنَامَجُهُمْ، وَمِنْ جِهَةٍ ثَانِيَةٍ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَشْيَاعِهِمْ، فَهُمْ الَّذِينَ يَمَسْكُونَا الْكِتَابَ وَبِهِمْ نَحْنُ نَسْتَمْسِكُ وَنَتَمَسَّكُ بِعُرْوَتِهِمُ الْوَثْقَى صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، مَرَّ الْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَأَنَّهَا فِي مُوَاجَهَةِ الْمَوْسَسَةِ الدِّينِيَّةِ الْيَهُودِيَّةِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْهَا الْآيَةُ الَّتِي تَسْبِقُ هَذِهِ الْآيَةَ، مُرَادِي مِنَ الْمُوَاجَهَةِ الْمُقَارَنَةِ، الْقُرْآنَ هُنَا يَعْقِدُ مُقَارَنَةً بَيْنَ هَاتَيْنِ الْجِهَتَيْنِ.

فِي الْآيَةِ الْحَادِيَةِ وَالسَّبْعِينَ بَعْدَ الْمِائَةِ مِنْ سُورَةِ الْأَعْرَافِ: ﴿وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ فَوْقَ مَنْ؟ فَوْقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَوْقَ الْيَهُودِ فِي زَمَانِ مُوسَى.

﴿وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾-نَتَقْنَا الْجَبَلَ؛ قَطَعْنَاهُ، عَزَلْنَاهُ عَنِ الْأَرْضِ وَرَفَعْنَاهُ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ- كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ؛ صَارَ مِظْلَةً تُظِلُّهُمْ عَنِ السَّمَاءِ.

﴿وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ مِنْ دُونِ أَحَادِيثِ أَهْلِ الْبَيْتِ هَذِهِ الْآيَةُ مُغْلَقَةٌ لَا تُفْهَمُ أَبَدًا.

مَا الْمُرَادُ (وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ)؟ كَيْفَ حَصَلَ هَذَا؟ مَتَى حَصَلَ هَذَا؟ وَمَا هِيَ حَقِيقَةُ الْحَالِ؟

هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ الْقُمِّيِّ، هَذِهِ هِيَ أَحَادِيثُ آلِ مُحَمَّدٍ: (قَالَ الصَّادِقُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: لَمَّا أُنْزِلَ اللَّهُ التَّوْرَةَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَقْبَلُوهُ فَرَفَعَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ جَبَلَ طَوْرٍ سَيْنَاءَ أَوْ (سَيْنَاءَ) فَقَالَ لَهُمْ مُوسَى: إِنْ لَمْ تَقْبَلُوهُ وَقَعَ عَلَيْكُمْ الْجَبَلُ فَاقْبَلُوهُ وَطَاطَاوا رُؤُوسَهُمْ) قِصَّةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ قِصَّةٌ مُعَقَّدَةٌ.

﴿وَإِذِ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ﴾ نَتَقْنَا الْجَبَلَ؛ قَطَعْنَاهُ عَنِ الْأَرْضِ وَرَفَعْنَاهُ فَوْقَهُمْ.

﴿كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ صار مظلة لهم عن السماء.

﴿وَضَنُّوا أَنَّهُ وَقَعَ بِهِمْ﴾ متى؟ حينما جاءهم موسى بالتوراة، فقال لهم بعد أن رفضوا وارتفع الجبل على رؤوسهم: إن لم تقبلوا بكتاب الله هذا فإن الجبل واقعٌ واقعٌ عليكم، فقبلوا وطأطأوا رؤوسهم.

وهنا يوجه الخطاب إليهم: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ ما آتيناكم؛ خذوا هذا الكتاب، خذوا التوراة بقوة، هذه القوة كما تقول أحاديث أهل البيت: قوة القلوب وقوة الأبدان، أي اجعلوا قلوبكم وعقولكم في طاعة هذا الكتاب واجعلوا أبدانكم كذلك، لأن اليهود كانوا يتكاسلون حينما يطلب منهم موسى شيئاً، والتكاسل والكسل هو أقبح شيء في حياة الذين يريدون أن يقتربوا من الله، لأن الكسل يأتي على كل ما هو نافع في الحياة الدنيوية وفي الحياة الأخروية، الكسل يقود الإنسان إلى الفشل، إلى فشل في الدنيا، وإلى فشل في الآخرة، إلى فشل في التجارة، وإلى فشل في العلم، وإلى فشل في الحرب وفي السلم، وإلى فشل في قيادة الناس وحكومتهم، وإلى فشل في رعاية الأسرة وتربيتها، وإلى فشل في تنظيم حياة الإنسان وشؤون معاشه، إلى فشل في كل شيء، إلى فشل في النظافة والصحة والسلامة، إلى فشل في حركة الإنسان وسكونه، أعدى أعداء الحياة: الكسل، الكسل قد يجتذبه الإنسان بسبب ضعف همته، بسبب ضعف نيته، الكسل قد يسيطر على الإنسان فيحول الحياة إلى فوضى، لذا يطالبهم الله أن خذوا هذا الكتاب، أن خذوا هذا الدين بقوة، من هنا جاء هذا المنطق: (إن الله يحب المؤمن القوي ولا يحب المؤمن الضعيف) القوة هي هذه، القوة أساساً في القلوب والعقول، بعد ذلك تنتقل القوة إلى الأبدان، ماذا يقول سيد الأوصياء؟ ما ضعف بدن عما قويت عليه النية، حتى لو كان البدن ضعيفاً قوة النية تبعث الطاقة فيه، شدة العزيمة تؤدي إلى قوة الشكيمة، حينما تشتد العزيمة تشتد الشكيمة عند الإنسان، وحينئذ ينبعث باتجاه ما يريد أن يحققه.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ يا لله ويا لليهود، تشكيك في كل شيء، حالة شيعية موجودة في الواقع الشيعي على طول الخط منذ زمان الأئمة وإلى يومنا هذا، عجيب عجيب هذا الأمر في جو الحقيقة، وجو الحقيقة جو محمد وآل محمد، في جو الحقيقة الأباطيل تصدق والحقائق تكذب، وغريب هذا الواقع الشيعي، كل الأمم، كل المجموعات تُقدس كتبها، تُدافع عن آثارها إلا في الواقع الشيعي تكاد كلمته الجميع تجمع على توهين كتبنا، تضعيف أحاديثنا، حين أشاهد بعض الفضائيات وفي بعض الأحيان تدور نقاشات بين شيعي وسني، السني يستमित في الدفاع عن صحيح البخاري، وأول شيء يتنازل عنه الشيعي يتنازل عن حديث أهل البيت، عن كتاب (الكافي) وأضرابه، أول شيء يتنازل عنه، ثم يذهب ليستدل على ما يريد بأحاديث من البخاري، هو لا يعرف كيف يفهمها الطرف الآخر، خيبة في خيبة، إي والله خيبة في خيبة، لماذا تستهين بحديث أهل البيت؟! لماذا الطرف الآخر يدافع عن صحيح البخاري بكل قوة وأول شيء يتنازل عنه الشيعي حديث أهل البيت؟! لماذا هذا الاستخزاء؟! لماذا نحن الذين نشكك في كتبنا وحديثنا؟! أليست هذه القضية واضحة على طول الخط؟ أمة خائبة.

ألا تلاحظون أن القصة الإسرائيلي جاء في القرآن لأنه في الحقيقة هو قصصنا، لماذا هذا الإلحاح من الكتاب الكريم على قصص بني إسرائيل؟ لماذا؟

أهم فقرة في الحياة الشيعية، أعني في الحياة الدينية الشيعية هي فقرة التقليد، الفقهاء، هذه الفقرة حينما تحدث عنها إمامنا الصادق في تفسير إمامنا العسكري، هكذا حدثنا إمامنا العسكري، إمامنا الصادق قام بمقارنة في هذه المسألة بين فقهاء اليهود وبين عوام اليهود، وبين عملية التقليد عند اليهود، وقارن بين هذا وبين فقهاء الشيعة وعوام الشيعة وعملية التقليد المعروفة في الوسط الشيعي، هذا وغيره كثير.

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ﴾ - كل تلك المعجزات والآيات ومع ذلك يشككون موسى، أتعلمون أنهم استمروا على إيذائه إلى آخر يوم من حياته، استمروا على إيذائه إلى آخر يوم عاش فيه موسى على هذه الأرض في هذه الدنيا، بعد كل ذلك وهاهم يشككون بتوارة موسى، فارتفع الجبل فوق رؤوسهم وظنوا أنه واقع على رؤوسهم، سيقع عليهم، وبين لهم موسى إن لم يقبلوا بالتوارة فالجبل واقع واقع عليهم، فقبلوا، ومع ذلك تأتي النصائح والتوجيهات والإرشادات - خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ ﴿بِقُوَّةِ العقول والقلوب وبِقُوَّةِ الأبدان.

﴿وَادْكُرُوا مَا فِيهِ﴾ اذكروا ما فيه؛ أي راجعوه، تفحصوه، لا تهجروه.

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ لعلكم تتقون نار الآخرة، نار جهنم.

ومن هذه الآية تأتينا آية أخرى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ الآية تتحدث عما هو معروف في وسطنا الشيعي بـ (عالم الذر) هذا المصطلح لم يرد لا في الآيات الكريمة ولا في أحاديث أهل البيت، ولكنه صار شائعاً في الثقافة الشيعية، هو عنوان للمضمون الذي جاء مذكوراً في هذه الآية.

لنأخذ نماذج من الروايات والأحاديث التي تناولت هذا الموضوع وبعد ذلك نعود للآيات:

أنا أقرأ من الجزء الثالث من (تفسير البرهان) وقد نقل حزمة من الأحاديث بخصوص هذا الموضوع، أشير إلى بعض منها فالمقام لا يسمح بقراءة كل هذه الأحاديث الكثيرة، الصفحة (236) والرواية عن زرارة عن أبي جعفر الباقر صلوات الله وسلامه عليه، والسيد هاشم البحراني نقلها عن كتاب (الكافي) في معنى نفس هذه الآية وهي الآية الثانية والسبعون بعد المائة: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾ ماذا قال إمامنا الباقر؟ قَالَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ: أَخْرَجَ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ، ما المراد من الذر؟ لا نملك صورة واضحة، إذا رجعنا إلى كلمة الذر في لغة العرب فالذر جمع لذرة، والذرة في لغة العرب قد تطلق على ما يسمى (بذرة الهباء) وذرة الهباء هذه الذرات المتحركة في حزم الضوء الشمسي الداخل من النوافذ والمنافذ والشبابيك والكوى، هذه التي قالت عنها أحاديث أهل البيت: (بقايا جبل موسى الذي دُكَّ دكاً).

والذرة: في لغة العرب هي حبات التراب والرمل، فالحبات الصغيرة من التراب والرمل يقال لها: (ذرة) ولذا يقال: (بعدد ذرات التراب، بعدد ذرات الرمل) إشارة إلى الكثرة المتكاثرة.

والذرة: في لغة العرب قد تُطلق على النملة الصغيرة، فالنمل أنواع، هناك نوعٌ صغيرٌ جداً من النمل غير هذا النمل الاعتيادي الذي ينتشر في بيوتنا وفي حدائقنا، هناك نوعٌ صغيرٌ جداً من النمل أصغر من هذا النمل المعروف، هناك نملٌ كبيرٌ وهناك نملٌ نحن نعرفه ينتشر كثيراً في البيوت والحدائق، ولكن هناك نوعٌ لنملٍ صغيرٍ جداً، الواحدة من هذا النمل تُسمى في لغة العرب: (ذرة).

فالذرة هي الأجزاء الصغيرة من كُلِّ شيء، (النملة الصغيرة ذرة)، (حبة الرمل ذرة)، (حبة التراب ذرة)، (وذرة الهباء المتحركة في حزم الضوء الشمسي ذرة) وكلُّ جزءٍ صغيرٍ من أي شيء، فأقول: هذه ذرة من الذهب، هذه ذرة من الفضة، هناك جزءٌ صغيرٌ جداً من الذهب، قطعاً لا أتحدث عن المصطلح الكيميائي، فالذرة في الكيمياء، الذرة في الفيزياء شيء آخر، إنني أتحدث عن المعاني اللغوية لكلمة الذرة في لغة العرب.

فخرجوا كالذر، إشارة إلى الكثرة، وإشارة إلى أنهم في هيئة تختلف عن الهيئة البشرية، ما هم بهيئة بشرية كهيئتنا.

أخرج -يعني الله سبحانه وتعالى- من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم أنفسهم، الله سبحانه وتعالى عرفهم وأراهم نفسه، قطعاً التعريف الذي يتناسب مع هذه المرتبة من الخلقة، والإراءة كذلك.

فَعَرَفَهُمْ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ، لولا هذا الأمر الذي جرى والذي سمي في ثقافتنا الشيعية بعالم الذر، وإلا فهذا المصطلح لا وجود له لا في الآية ولا في الرواية، وإمّا جاء الحديث عن أن بني آدم خرجوا كالذر، بالضبط ما هي الهيئة؟ ما هي الصورة؟ نحن لا نستطيع أن نتصور ذلك، هو وجودٌ يتناسب مع ذلك العالم، أي عالم؟ العالم الذي سمي بعالم الميثاق، ربّما عبر عنه في بعض الروايات بـ (الذر الأول) وهو عالم الميثاق.

أُخْرِجَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِ فَعَرَفَهُمْ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ، فعالم الذر هذا، عالم الميثاق هذا، عالمٌ له خصوصيته وله قوانينه كبقية العوالم، نحن حينما نكون موجودين في أصلاب آبائنا فعالم الأصلاب عالمٌ له قوانينه وله خصائصه، ووجودنا هناك يتناسب مع هذا العالم مع عالم الأصلاب، وكذلك وجودنا في أرحام أمهاتنا، فعالم الأرحام عالمٌ له خصوصيته، نحن لنا صورة وهيئة في عالم الأرحام تتناسب وذلك العالم.

مثلاً تحدثنا الروايات عن أن الحقائق في العوالم العلوية، على سبيل المثال: حينما يسألون عن وجود فاطمة في حقة العرش عن طعامها وشرابها يحدثونا صلوات الله عليهم: (أن طعامها وأن شرابها التسبيح).

وكذا الملائكة حين يحدثنا أممتنا عن طعامهم وشرابهم يخبروننا: (أن طعامهم وشرابهم التسبيح).

وقطعاً التسبيح في الحقّة الفاطمية هو غير التسبيح في عالم الملائكة، ففي كُلِّ عالمٍ للتسبيح معنى، وفي عالم الميثاق هناك تسبيح أيضاً، وفي عالم الأرحام هناك تسبيح أيضاً، ولكن هناك طعام وشراب في عالم الأرحام

يتناسب وهذا العالم، وعالم الميثاق هكذا له خصوصيته، طعامنا وشرابنا في ذلك العالم يتناسب مع الحقيقة التي كُنّا عليها.

قطعاً التسبيح هو طعام وشراب في العوالم العلوية، وعالم الميثاق هو أحد هذه العوالم، والتسبيح له دلالات كثيرة:

التسبيح هو حركة باتجاه الكمال، مثلما السباحة هي حركة باتجاه الخلاص من الأوساخ والأدران، الجذر للغوي واحد في من يسبح في الماء وفي من يسبح في الملاء الأعلى، الجذر واحد، فالذي يسبح في الماء يتنزه عن الأدران والأوساخ التي يزيلها الماء، والتسبيح هناك تنزه عن النقص وسعي للكمال في كل مخلوق بحسبه، وفي كل عالم بقوانينه وخصوصياته.

فنحن في عالم الميثاق طعامنا وشرابنا التسبيح بما يناسب ذلك العالم، وبما يبعث الطاقة فينا، هناك طاقة تُبعث في صورنا ونحن في هذه الهيئة التي عبر عنها بهذا التعبير: (فخرجوا كالذر) فليس الخروج هنا خروجاً مادياً.

في الرواية الخامسة: عَنْ أَبِي بصير، قَالَ: قُلْتُ لِأبي عبد الله: كَيْفَ أَجَابُوا وَهُمْ ذُرٌّ؟ -أبو بصير يسأل إمامنا الصادق- كَيْفَ أَجَابُوا وَهُمْ ذُرٌّ؟ قَالَ: جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ، لأنهم ما كانوا كحالنا ونحن في الدنيا نملك ألسنة، عندنا منظومة اللغة والنطق، وعندنا وسائل التواصل والتفاهم والفهم، في عالم الذر كُنّا في هيئة، في صورة، في نحو يتناسب وتلك الطبقة من العوالم العلوية، ويتناسب وذلك الظهور من حقيقتنا الأصل التي هي في العرش.

(جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ) مثلما جعل فينا ونحن في عالم الدنيا ما إذا سألنا نجيب، والإمام أجاب بهذه الطريقة والكيفية لأننا أساساً لا نملك صورة عن الذر الذي تحدثت عنه الروايات، فذلك كانت الإجابة مجملة.

(جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ) وإلا كيف أستطيع أن أتصور من أننا خرجنا من ظهر أبينا آدم من أولنا إلى آخرنا نحن أبناء آدم منذ أن كان أبونا إلى يوم القيامة، خرجنا كالذر، وأن الله سبحانه وتعالى عرفنا نفسه وأرانا نفسه، إمامنا الباقر يقول: (وَكَلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ) هذا هو البناء الفطري، هذا هو التأسيس الفطري في البنية الإنسانية، هذه اللبنة الأولى من البناء الإنساني الذي سيكون في العالم الترابي، لكن هذه اللبنة ما هي بلبنة مادية.

خروج هذه اللبنة من الظهر من جهة مادية يعني أن لها وجهاً مادياً بلحاظ من اللحظات، بحيشة من الحيشات، كيف هي؟ لا أدري كيف أصفها، ولكن هذه البيانات المجملة يمكن أن تقرب لنا الصورة.

فمن قول الباقر: (أُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ ذُرِّيَّتُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَخَرَجُوا كَالذَّرِّ فَعَرَّقَهُمْ وَأَرَاهُمْ نَفْسَهُ وَكَلَا ذَلِكَ لَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ رَبَّهُ).

إلى قول الصادق لما سأل أبو بصير: كيف أجابوا وهم ذر؟ فماذا قال؟ (جَعَلَ فِيهِمْ مَا إِذَا سَأَلَهُمْ أَجَابُوهُ، ثُمَّ قَالَ: يَعْنِي فِي الْمِيثَاقِ) هكذا كانوا في عالم الميثاق.

وفي رواية أخرى: عن جابر الجعفي عن إمامنا الباقر، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِمَ سَمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - جابر يسأل الإمام الباقر- لِمَ سَمِّيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: سَمَّاهُ اللَّهُ وَهَكَذَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ - هذه قراءة أهل البيت- وَهَكَذَا أُنْزِلَ فِي كِتَابِهِ: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولِي وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَى) هم في الطباعة حرفوها، وضعوا الأقواس إلى نهاية الآية بحسب قراءة المصحف، في الأصل هكذا، في النسخ الأصلية لهذه الرواية هكذا: (وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولِي وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَالُوا بَلَى) هذه هي الفطرة، هكذا عُرِفَتِ الفطرة، وهكذا عُرِفَ صَكُّ البراءة، في يوم القيامة في الأحاديث عندنا عن رسول الله، عن المعصومين: (صَكُّ البراءة الَّذِي يَجُوزُ بِهِ الْإِنْسَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، عَلِيٌّ وَلِيُّ اللَّهِ، عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ) والميثاق في عالم الميثاق، في عالم الذرِّ، سَمَّ ما شئت، هو هذا، إمامنا الباقر يقول هكذا أنزلت هذه الآية.

في الصفحة (245) الرواية هي ولكنها جاءت هنا بنحو كامل، هناك قد حُذِفَ منها بعض الشيء: عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: يَا جَابِرُ، لَوْ يَعْلَمُ الْجُهَالُ مَتَى سَمِيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَنْكَرُوا حَقَّهُ - مَنْ هُمْ الْجُهَالُ؟ الْجُهَالُ مِنَ الشَّيْعَةِ، وَإِلَّا الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقَّ عَلِيٍّ مِنَ الطَّرَفِ الثَّانِي أُولَئِكَ نَوَاصِبُ - يَا جَابِرُ لَوْ يَعْلَمُ الْجُهَالُ، هذه الرواية من تفسير جابر الذي نهى الأئمة بعض أصحابهم أن يحدثوا به السَّفَلَةَ مِنَ الشَّيْعَةِ، جميل بن درَّاج حين سأل الإمام الكاظم: (هل أُحْدِثُ بِتَفْسِيرِ جَابِرٍ؟) الإمام نهاه عن ذلك قال: (إِنَّ السَّفَلَةَ يَعْصُونَ عَلَى تَفْسِيرِ جَابِرٍ، يُؤَبِّخُونَ جَابِرَ) ومن هؤلاء السَّفَلَةُ: (النَّجَاشِيُّ) الْعَالِمُ الشَّيْعِيُّ الْمَعْرُوفُ فِي كِتَابِهِ (الْفَهْرَسْت) الَّذِي زُورَ فَقِيلَ لَهُ: (رَجَالُ النَّجَاشِيِّ) فِي كِتَابِهِ (الْفَهْرَسْت) فِي كِتَابِهِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ بَعْدَ التَّزْوِيرِ وَالتَّحْرِيفِ مِنْ عِلْمَانَا فَسَمِيَ بِرَجَالِ النَّجَاشِيِّ، حين يذكر جابراً الجعفي:

- أَوَّلًا: يَذْمُهُ، يَقُولُ هُوَ مُخْلَطٌ.

- وَحِينَ يَتَحَدَّثُ عَنْ تَفْسِيرِهِ يَقُولُ: هَذَا تَفْسِيرٌ مُضَوِّعٌ.

الأئمة قالوا: مَنْ أَنَّ الَّذِي يُؤَبِّخُ جَابِرًا وَتَفْسِيرُهُ هَذَا مِنْ سَفَلَةِ الشَّيْعَةِ، وبهذا يثبت أَنَّ النَّجَاشِيَّ سَافِلٌ مِنَ السَّفَلَةِ، مِنْ سَفَلَةِ الشَّيْعَةِ، بَلْ مِنْ أَكْثَرِهِمْ سَفَالَةً، لِأَنَّهُ أَنْكَرَ التَّفْسِيرَ بِالْكَامِلِ، بَيْنَمَا الْأُئِمَّةُ وَصَفُوا الشَّيْعَةَ الَّذِينَ يَسْتَهْزِئُونَ بِبَعْضِ حَدِيثِ جَابِرٍ بِأَنَّهُمْ سَفَلَةٌ، فَمَاذَا يَقُولُونَ عَنِ النَّجَاشِيِّ الَّذِي قَبَّحَ جَابِرًا وَأَنْكَرَ تَفْسِيرَهُ بِالْكَامِلِ، فَهُوَ سَافِلٌ سَافِلٌ سَافِلٌ مِنْ أَشَدِّ السَّفَلَةِ، مَرَّاجِعُنَا الْكَرَامَ يَعْتَمِدُونَ عَلَى هَذَا السَّافِلِ فِي رَدِّ أَحَادِيثِ أَهْلِ بَيْتِ الْعَصْمَةِ، فَمَاذَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ؟!

الرسائل الْعَمَلِيَّةُ الَّتِي تَعْمَلُونَ بِهَا، وَالتَّفَاسِيرُ الَّتِي يَفْسِّرُ بِهَا مَرَّاجِعُنَا، أَسَاسًا تَعْتَمِدُ عَلَى تَقْيِيمَاتِ هَذَا السَّافِلِ النَّجَاشِيِّ، الَّذِي يَأْخُذُ مِنَ السَّافِلِ وَيَقِيمُ حَدِيثَ أَهْلِ الْبَيْتِ وَيَفْسِّرُ الْقُرْآنَ عَلَى أَسَاسِ تَقْيِيمَاتِ قَوْلِ هَذَا السَّافِلِ مَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ عَنْهُ؟! أَنَا لَا أَقُولُ شَيْئًا، أَتْرُكُ الْأَمْرَ إِلَيْكُمْ، فَحَذَارِي مِنْ هَذَا السَّافِلِ النَّجَاشِيِّ وَأَمْثَالِهِ

من علماء الرجال السفلة الَّذِينَ يُضَعِّفُونَ جَابراً الجعفي، وَيُضَعِّفُونَ تَفْسِيرَهُ، وَيُؤَبِّخُونَهُ، روايات عديدة عن المعصومين تقول من أَنَّ الَّذِي يَنْتَقِصُ من جابر ومن تَفْسِيرِهِ فهو سافل، فما تقولون عن مراجعنا الَّذِينَ يقومون بنفس هذا الدور يومياً؟! الأمر راجع إليكم، هذا حديث أُمَّتِكُمْ، وهؤلاء مراجعكم، وهذا هو الواقع وابتحثوا فيه وتحققوا بأنفسكم.

جابر الجعفي يحدِّثنا عن باقر العلوم، باقر العلوم يقول: يَا جَابِرُ لَوْ يَعْلَمُ الْجُهَّالُ -الجهال من الشيعة- مَتَى سَمِّيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَنْكُرُوا حَقَّهُ، حينئذ لا يقولون من أَنَّ الشهادة الثالثة تُبْطِلُ الصلاة، هؤلاء الَّذِينَ يقولون هذا في أحسن أحوالهم جهال، وحينما أقول: هم يعانون من جهلٍ مُرَكَّبٍ، الإمام يقول: جهال، ما قال جاهلون، يعني عندهم جهلٌ فوق جهل، حينما قُلْتُ إِنِّي أَعْتَمِدُ على مثل هذه الكلمات، حين قُلْتُ: إِنَّ مراجعنا يعانون من جهلٍ مُرَكَّبٍ، الإمام يقول عنهم جهال.

نستمر في قراءة الرواية: (يَا جَابِرُ لَوْ يَعْلَمُ الْجُهَّالُ مَتَى سَمِّيَ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَنْكُرُوا حَقَّهُ، قَالَ: قُلْتُ: جَعَلْتُ فِدَاكَ، مَتَى سَمِّيَ؟ فَقَالَ لِي قَوْلُهُ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ، إِلَى: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ (عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ)﴾ قَالَ: ثُمَّ قَالَ لِي: يَا جَابِرُ، هَكَذَا وَاللَّهِ جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ) هذه قراءة أهل البيت.

والقرآن كما قُلْتُ: نزل أكثر من مرة، هذا نزول آخر للقرآن، (يَا جَابِرُ هَكَذَا وَاللَّهِ جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ) ولكن القوم ضاعوا بين التنزيل والتأويل، واضطربت الآيات، وحرفوا القرآن، وتلك هي الحقيقة التي لا يريد علماء الشيعة أن يعترفوا بها.

(أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَبِيُّكُمْ رَسُولُ اللَّهِ وَأَنَّ عَلِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ) ثُمَّ قَالَ لِي: يَا جَابِرُ، هَكَذَا وَاللَّهِ جَاءَ بِهَا مُحَمَّدٌ) تُسَخِّفُونَ هذه الرواية؟ فأنتم سَفَلَةٌ، الإمام الباقر يقول، الإمام الصادق، الإمام الكاظم، أُمَّتُنَا رواياتهم، أحاديثهم تقول: مَنْ يُسَخِّفُ روايات تفسير جابر فهو من السَفَلَةِ، ما تقولون أنتم؟! قطعاً العلماء والمراجع يُسَخِّفُونَ هذه الروايات، يُسَخِّفُونَهَا نظرياً بحسبِ قذارات علم الرجال وقذارات علم الأصول، وَيُسَخِّفُونَهَا عملياً حين يَنْكُرُونَ الشهادة الثالثة بعنوان الوجوب القطعي في الأذان والإقامة، وبمعنوان الوجوب القطعي في التشهد الوسطي والأخير في الصلاة.

يا جماعة، إذا كانت الفطرة هكذا: (لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين) الروايات تقول هكذا.

وإذا كان الميثاق في عالم الذر هكذا: (لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين).

وإذا كان صكُّ البراءة يوم القيامة وصكُّ النجاة وصكُّ العبور على الصراط: (لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين).

وإذا كان مكتوباً على عرش الله: (لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين).

وإذا كان مكتوباً على أبواب الجنان: (لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله، عليٌّ أمير المؤمنين).

وإذا كان الأذانُ الإلهي حين خلق الكائنات فأمرَ مُنادياً ينادي في كُلِّ الوجود، والرواية في الكافي الشريف: (لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، علي أمير المؤمنين حقاً حقاً).

وإذا كان الإمام الصادق يقول: (فإذا قال أحدكم لا إله إلا الله، مُحَمَّد رسول الله، فَلْيَقُلْ علي أمير المؤمنين).

ما بالكم لا تقولون ذلك في الأذان والإقامة كما هي هذه الحقائق؟! ما بالكم؟! هل أن ذكر الأمير في هذه المصاديق كان بعنوان عدم الجزئية؟! يا لخيبتكم، يا لسوء حظكم، يا لسوء طالعكم، يا لبئائكم، هذه النصوص وأمثالها كثير، هل أن ذكر أمير المؤمنين هنا كان بعنوان عدم الجزئية الواجبة؟! ماذا تقولون؟! لماذا تُنكرون حق علي؟!

الإمام ماذا قال؟ (لَوْ أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ مَتَى سَمِيَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَمَا أُنْكَرَ الْجَهَالُ حَقَّهُ) هو لا يتحدث عن النواصب، الَّذِينَ أَنْكَرُوا حَقَّ عَلِيٍّ مِنْ الطَّرَفِ الْآخَرِ نَوَاصِبٍ، هو يتحدث عن جهال الشيعة، مَنْ هُمْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَذَا الدَّورِ فِي زَمَانِنَا؟ مراجعنا وعلمائنا الأجلاء ومؤسستنا الدينية، هذا هو الواقع أو لا؟ المؤذنون كذلك يعملون بنفس هذه الطريقة، هؤلاء كُلُّهُمْ يَنْكَرُونَ حَقَّ عَلِيٍّ، كما بينت الروايات.

إذا ما دققنا النظر في الآية الثانية والسبعين بعد المئة جمعاً بينها وبين الأحاديث الشريفة، الآية ماذا قالت؟ (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) الروايات قربت لنا الصورة من أن ذرية آدم أخذت من ظهره، لكن إذا دققنا في الآية فإن أبناء آدم أخذوا من ظهور آبائهم، يعني هناك عملية متسلسلة في الإخراج، فالذين خرجوا من ظهر أبينا آدم هم الذين خرجوا من ظهر أبينا آدم بشكل مباشر، ومن ظهورهم بحسب عالم الذر خرجت ذريتهم، ومن ظهور ذريتهم وهكذا، إذا ما جمعنا بين الأحاديث وبين الآية الشريفة.

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ - ليس من آدم - مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ) الأصل، أصل الإخراج من أبينا آدم، ولكن الذي أخرج من ظهر أبينا آدم الجيل الأول، وخرج بما يتناسب وذلك العالم في عالم الميثاق، ومن ظهور ذلك الجيل بحسب عالم الميثاق أخرج جيل يأتي من بعده، وهكذا بقية الأجيال توالى.

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ) فإن الإخراج كان من ظهور أبناء آدم بحسب التسلسل، أول إخراج من ظهر أبينا آدم وهكذا، كُلُّ ذَلِكَ حَدَثٌ فِي عَالَمِ الْمِيثَاقِ وَنَحْنُ بِصُورَةِ الذَّرِّ.

(وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمُحَمَّدٌ نَبِيُّكُمْ وَعَلَى إِمَامِكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ) هل نتذكر في عالم الدنيا ما جرى؟ أبداً، ولكن ما جرى في ذلك العالم هو الذي كَوَّنَ فطرتنا، كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، ولكن أبواه يمكن أن يغيروا هذه الفطرة، قطعاً الأبوان لا يستطيعان أن يهدما البناء التكويني للفطرة، وإِنَّمَا يَصْنَعَانِ حِجَاباً وَغِطَاءً عَلَيْهَا.

هناك أمورٌ تُؤدّي إلى هدم بناء التكوين الفطري، وأعتقد مرّ الحديث في قصة قوم لوط عن اللواط وكيف أنّه يهدم بناء التكوين الفطري، وهناك أمورٌ أخرى أيضاً، ولكن من أبرز الأمور التي تهدم بناء التكوين الفطري هو اللواط، وأسوأ أنواع اللواط حينما يحوّل اللواط إلى عبادة كما يفعل الخطّايون، ومرّ الحديث عن ذلك.

﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ قد كشفنا غطاءك فبصرك اليوم حديد، هذه مرحلة من المراحل التي يمر بها الإنسان وتبدأ من لحظات الاحتضار، من لحظات الاحتضار تبدأ مراحل جديدة في حياة الإنسان، مراحل من الوعي والإدراك العالي، في مقاطع مختلفة في حياة الإنسان ما بعد الموت، وليس الحديث عنها، ولكن هناك سيتذكّر ما يتذكّر.

الإنسان حين ينزل إلى الدنيا ستكتّم الكثير من الحقائق في داخله، لن تُعَدَم، هي موجودة، لو توفّرت الوسائل لإخراجها لخرجت، ليس الحديث عن هذا الموضوع الآن، ولكن لو توفّرت الوسائل لإخراجها لخرجت، بالضبط مثل أجهزة الكمبيوتر، حينما نقوم بعملية إزالة للمعلومات في طبقة من الطبقات لا نستطيع استعادتها، ولكن في طبقة ثانية، في مستوى ثانٍ، وقومٌ متخصصون وشركاتٌ مختصة تستطيع أن تنبش الذي قد اختفى من واجهة ذاكرة جهاز الكمبيوتر، في عمق الذاكرة ستبقى المعلومات محفوظة هناك، القضية هي هي في الإنسان، وما جهاز الكمبيوتر إلّا صورة عن دماغ الإنسان وبنحو مبسّط، لأننا إلى الآن لم ندرك عميق أسرار هذا الدماغ، إلى الآن لم ندرك الأسرار العميقة لجهاز الإدراك البشري بكلّ تفاصيله وبكلّ معطياته.

فما جرى في تلكم العوالم مودّع في مركز من مراكز المعلومات، في منظومة أجهزة الإدراك البشري، يمكن أن تُحطّم هذه المنظومة، كما جئتُ بمثال بحسب ما جاء من القصص والوقائع في سورة الأعراف، فإنني أتحدّث عن مضامين السورة حينما مررنا على قصة قوم لوط فإنني تحدّثت عن هذا الموضوع، وسأتحدّث عنه أيضاً في خلاصة سورة الأعراف حينما نصل إلى الخلاصة، نصل إلى الزبدة.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ - كُنّا جيلاً جاء من بعدهم - أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ هذا الإهلاك قد يكون في الدنيا، وهذا الإهلاك قد يكون في الآخرة، وإهلاك الآخرة هو العذاب، أمّا إهلاك الدنيا فهو إخراج من هذه الدنيا، هو الموت، ولكنّه موتٌ بعذاب، فحينما أخذ عليهم الميثاق: (أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمَحَمَّدٌ بِنَبِيِّكُمْ وَعَلَيَّ بِإِمَامِكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا) وإنّما كان هذا الذي كان.

﴿أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ ﴿أَوْ تَقُولُوا﴾ - في الدنيا إذا ما استحققتهم الهلاك - ﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفْتَهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾ ما نحن الذين فعلنا، آباؤنا فعلوا، ونحن جرينا على الذي جرى عليه آباؤنا وما كان لنا من علم.

الجواب: إنكم قد مرّتم في عالم الميثاق، وهناك قد صنعت لكم الفطرة، وهناك قد أودعت فيكم الحقائق، وتلك الفطرة وتلك الحقائق لو كنتم فعلاً تبحثون عن الحقيقة لأخذتكم إلى الطريق الصحيح،

لكنكم تكاسلتم، لكنكم تريدون أن تعيشوا بهدوء في هذا المكان، تخافون أن تواجهوا الأعراف والتقاليد، لا تستطيعون أن تصارعوا الأباطيل، تريدون أن تعيشوا بسلام، أن يقال عنكم بأنكم أناس أخيار، هذا إنسان قد كفَّ خيرَه وشرَه عن الآخرين، وما فائدة إنسان يكفَّ خيرَه عن الآخرين؟! لماذا هذه هي قواعد المدح عند الناس؟! لماذا هكذا تقولون إننا لا نريد فلاناً، ونريد فلاناً، على أي أساس؟! على هذا القانون: (مو زين الي تعرفه أحسن من الزين الي ما تعرفه) ما أنت تعرف الاثنين، كيف وصفت هذا بأنه حسن وهذا سيئ؟! أنت تقول عن هذا مو زين وتقول عن هذا زين، فأنت تعرف الاثنين، ما هذه القواعد الشيطانية المضحكة؟! ما هذا المنطق الضال؟! ما هذه الثقافة الهزيلة؟!

والغريب أن هذا المنطق يتفوه به المثقفون في بعض الأحيان حينما يحصرون في زاوية الحقيقة، وبعض رجال الدين يعلمون الناس هذا المنطق حينما تُقام عليهم الحجج، وحينما يفرون من الحقيقة وهي تصفعهم على وجوههم، فيلجأون إلى مثل هذه الترهات وإلى مثل هذه الأمثلة العجائزية التي صبها الشيطان في عقول الجهال.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ وَمَحَمَّدٌ بِنَبِيِّكُمْ وَعَلَىٰ إِمَامِكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢﴾ وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾﴾.

هكذا نُفَصِّلُ الْآيَاتِ:

- إن كان الحديث عن آياتِ الكُتُبِ السماويةِ فأَيَاتُهَا مُفَصَّلَةٌ تفصيلاً.
- وإن كان الحديث عن آياتِ ومُعْجَزَاتِ الأنبياءِ وبَيِّنَاتِهِمْ فتلك واضحةٌ جليّةٌ أجلى من الشمس، ومَرَّت بَيِّنَاتِ موسى وغيره.
- وإذا كان الحديث عن الآياتِ العظمى فالآياتِ العظمى هي الآياتِ المحيطة بهذا الكون.

﴿وَكَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٣﴾﴾.

مسألة واحدة وأختم الحديث:

ما يؤخذ من ميثاق في عالم الذرّ ليس بالضرورة لن يتغيّر في عالم الدنيا، لكن الجاري والغالب أن ما أخذ عليه الميثاق في عالم الذرّ سيجري في عالم الدنيا، لكن لا يعني أن الذي قبل الولاية في عالم الذرّ سيقبلها في عالم الدنيا، ولا يعني أن الذي رفض الولاية في عالم الذرّ سيرفضها في عالم الدنيا، فربما قد يقبلها، وقد مرّت علينا الآياتُ في ذلك في نفس سورة الأعراف، مرّت علينا آيتان:

الآية الحادية بعد المئة: (تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ) بما كَذَّبُوا في عالم الذرّ، تلك القرى، الشيء العام الغالب للذين كَذَّبُوا في عالم الذرّ كَذَّبُوا بِالْآيَاتِ هُنَاكَ سَيَكْذِبُونَ بِهَا فِي عَالَمِ الدُّنْيَا.

والآية التي بعدها: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) بحسب روايات أهل البيت: من عهدٍ في عالم الذرّ، أعطوا العهود في عالم الذرّ ونقضوها في الدنيا، عالم الذرّ قد يقول قائل: فإذا كان الناس قد نقضوا العهود هناك، رفضوا العهود هناك، فلماذا يؤتى بهم إلى الدنيا؟

عالم الذرّ مرحلة، فإنَّ الإنسان في الدنيا أيضاً هناك قانون: (الإيمان المستقرّ والمستودع) يمكن للإنسان أن ينقض إيمانه في الدنيا.

هناك أعمالٌ وأمورٌ تُؤدِّي إلى تحويل الإيمان المستودع إلى إيمان مُستقر وثابت.

وهناك أمورٌ تُؤدِّي إلى تحويل الإيمان المستقرّ إلى إيمان مُستودع.

وفي الأدعية الشريفة في دعاء أبي حمزة الثمالي وغيره نَسَأُ الله إيماناً لا أَجَلَ لَهُ دُونَ لِقَائِهِ، لقاء الله ليس بالموت، لقاء الله في يوم القيامة، فإنَّ الإنسان قد ينقلب من الهدى إلى الضلال أو من الضلال إلى الهدى، متى؟ في الدنيا في حياته، وربما عند لحظة الموت، ما تُسمّى بـ (لحظة العديلة) فإنَّ الإنسان عند الاحتضار ربّما يعدل عن الهدى إلى الضلال، وربّما يعدل عن دينه في قبره، وربّما يعدل عن دينه حينما يبعث، وربّما يعدل عن دينه في مواقف يوم القيامة، فمواقف يوم القيامة في الروايات: خمسون موقف، كلّ موقف ألف سنة، نحن نعيش في الدنيا سبعين سنة ولا ندري عن تلك السنين هل هي من سني الدنيا أم من سني الآخرة، سبعون سنة نتقلب مليون مرة، في كلّ يوم نكون بحالة، وهي سبعون سنة، ونصفها إن لم يكن أكثر من نصفها، ربّما البعض أكثر من ثلثين من حياته يقضيها نوماً، هناك أناس يقضون أكثر من ثلثي حياتهم نوماً، والثلث الباقي يقضي أكثره في حالة غباء وتَوَلٍّ وَخَوَذٍ، وما بقي يقضيه ما بين طعامٍ وشرابٍ وبيتٍ وخلاء، وبقية باقية يقضيها في عبثٍ ولغوٍ لا طائل تحته، وهكذا تتسرّب الحياة، إذا سنحت فرصة ربّما تحدّثت عن هذه الجهة، عن جهة عمر الإنسان وعن تسرّب الحياة من بين يديه.

فالآية هنا الثانية بعد المئة: (وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ) يعني هم عاهدوا في عالم الذرّ وما وفوا، فمثلاً عاهدوا وما وفوا يمكن أنهم في حالة أخرى من الصور البشرية أن أحداً لم يعاهد هناك ولكنه يعاهد هنا.

فعالم الذرّ عالمٌ يُشكّل مقطعاً من وجود الإنسان، من حياته في الوجود لا من حياته في الدنيا، فحياتنا في الدنيا تُشكّل لنا مقطعاً من حياتنا في الوجود، فالوجود أطول من الدنيا، نحن لنا حياتنا في هذا الوجود، ولنا حياتنا في هذه الدنيا، الآن نحن مشغولون بحياتنا في هذه الدنيا، ولقد كُنّا في عالم الذرّ في مقطعٍ من مقاطع حياتنا في هذا الوجود، وقبل عالم الذرّ كُنّا في عوالمٍ أخرى تنتهي بالعرش، وربما حتّى وراء العرش، لا نعلم، فالعوالم العلوية التي مررنا بها كثيرة، والعوالم السفلية التي مررنا بها كثيرة، وأمامنا مسيرة طويلة، تلك هي آيات الله

في الأنفس وفي الآفاق، وآياته لا تُعدّ ولا تُحصى، (هو الذي يرينا آياته في أنفسنا وفي الآفاق) فهل أن آياته يمكن أن تُعدّ وأن تُحصى؟! ما الحياة الدنيا إلا متاعٌ قليل في سلسلة طويلة من برنامج حياتنا في هذا الوجود.

والختام والختام:

بِأَلِ مُحَمَّدٍ عُرِفَ الصَّوَابُ وَفِي آيَاتِهِمْ نَزَلَ الْكِتَابُ

في أمانِ الله..

وفي الختام:

لأبد من التنبيه إلى أننا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المتابعة

القمر

1438هـ

2017 م

بَرْنَامَجُ قُرْآنُهُمْ... متوفر بالفيديو والأوديو على موقع القمر

www.alqamar.tv